لُغَةُ الجَسَدِ وَدَوْرُهَا فِي تَكْوِينِ الخطَابِ النَّحْوِيَ
الحَذْفُ عِنْدَ سيبويهِ أُنْمُوذَجًا

Body Language and its Role in the Development of the Speech
'Sibawayh's View inSyntactic Ellipsis as a Model'

عصام محمد ناصر العصام*

تاريخ تقديم البحث **2017/1/31** تاريخ القبول **2017/3/16**

ملخص

يدرس الباحث في هذا البحث أثر هذا النِّظام العلاماتيِّ غير اللَّفْظيِّ في بناء التركيب النحوي متبعًا المنهجَ الوصفيَّ المتَّخذَ من التحليلِ أداةً له، فيصفُ ويُحلِّلُ نظرةَ كلٍّ من اللُّغَويين، والبلاغيين، والنَّحْوِيِّينَ في تراثنا العربي، وأصحاب المدرسة الوصفيَّة، وأصحاب المدرسة التوليدية التَّحْوِيْلِيَّة في الثراث الغربي وَمَنْ تَأَثَّر بهم من المحدثين العرب، إلى هذا النوع من الأنظمة العلاماتيَة وإلى أيِّ مدًى يكون إسهامها في بنية الحطاب النَّحْوِيِّ من عدمه، متَّخذًا من دراسة ظاهرة الحذف عند سيبويه أنموذجًا لدراسة مدى إسهام لغة الجسد في تشكيل بنية الخطاب النحويِّ، فهي دراسة في الفكر وطريقة المقاربة، وَتَأَمُّلُ هذه الدراسةُ أن تُلْقِيَ مَزِيدًا منَ الضّوْءِ عَلَى وَاحدٍ مِنْ مُتَمِّـمَاتِ الكلامِ لَهُ دورٌ بارزٌ وكبيرٌ في إِيْصَالِ رَسَائِلِنَا اليَوْمِيَّةِ.

الكلمات الدَّالة: دور، لغة، الجسد، تكوين، الخطَاب، النَّحْوي، الحذف، سيبويه.

Abstract

This research deals with the impact of non-verbal communication in syntax,throgh the descriptive approach and analytical.Describing and analyzing the scholar's view in languistic, syntax and rhetoric of linguistsin the heritage of the Arab, and the transformatinal &generative views in the western heritage and the views ofnew Arabs that influenced by that school, studying the systems of this kind of communication (non-verbal), and its role in arabic syntax, taking the study of the phenomenon of ellipsis(by Sibawayh) as a model, focusing on the contribution of body language in the formation of syntactic speech. It is a study in thought and method of approach, whict hopes to shed more light on one of the complements of speaking, whereit has a prominent and significant role in the delivery of messages in our daily communication

Keyboard: Role، Language، Body، Formation، Speech، Syntactic، ALEllipsis ،Sibawayh.

* قسم اللُّغَة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية .

مقدمة:

قارب الباحثون مفهوم الخطاب من زوايا متنوّعة، طبقا لتنوّع خلفيَّاتهم العلميَّة، واهتمامتهم البحثيّة، ولم يقفوا عند معالجة نظام الخطاب العلاماتيّ، "ولذلك ورد الخطاب بتعريفات متنوّعة... وليس في هذا تشتُّتٌ بقدر ما فيه من غنىً وسعة"[1]، وقد ركّزت بعض الأعمال على مقاربة نظام الخطاب اللَّفْظِيّ، انطلاقًا من أنَّ الخطابَ هُوَ لَفْظٌ. وندرك أنَّ اللُّغَة اللَّفْظِيَّة قد لا تستطيع في بعض السِّياقات، أن تكتنز شحنة الخطاب التبليغيّ بمعزلٍ عن الأنظمة العلاماتيَّة الأُخَرَ، ليس هذا فحسب، بل لو انطلقنا من تجاربنا وخبراتنا، لأمكن القول إنَّ النِّظامَ التَّلفُّظِيَّ ليس النِّظام الوحيد المستعمل في صياغة الخطابات. خصوصًا الخطاب المعاصر الذي واكب إيقاع الحياة، واستثمر التطوُّرات التقنيَّة أيَّما استثمار؛ فقرَّب البعيد، ونوَّع مادَّة الخطاب، وخاطب جميعَ الحواسّ. هذا، وقد نتج عن تلك التطوُّرات، وهذه الاستثمارات تنوُّعٌ في أنظمة الخطابات، ممَّا أضفى عليها غنىً. وبالرَّغم من تلك الممارسات التي أصبحت شبه مسلَّمات، إلَّا أنَّ الخطاب ذا النِّظام العلاماتيّ غير اللَّفْظِيّ لم يحظ بالعناية والدِّراسة ضمن نظريَّات الخطاب التي تَكْفَلُ معالجته والوقوف على تنظيمه وتفعيله في السِّياقات المختلفة. بيد أنَّ هناك من قاربه، ولكن ضمن البحث في الدراسات التواصليَّة فقط، وما جرى من دراسات في التَّواصل هو دراسة للوسائل والآثار وغيرها؛ أي في الإطار العامّ، ولكن بمعزلٍ عن أثر هذا النظام العلاماتيّ غير اللَّفْظِيّ في بناء التركيب النحوي ومن هنا انبثقت مشكلة هذا البحث عن عدم اعتبار الأنظمة غير اللَّفْظِيَّة أنظمةً خطابيَّةً، تستحقُّ أَنْ تُفْرَدَ لها دراسة، أو دراسات مستقلَّة..

أسئلة البحث:

الأسئلة واسطة بين مشكلة البحث وأهدافه، ويمكن عرضها في الأسئلة التّالية:

- هل ينحصرُ مفهوم الخطاب في الخطاب اللَّفْظِيّ؟
- هل اعْتَدَّ النحويون بالأنظمة العلاماتيَّة غير اللَّفْظِيَّة بوصفها مكوّنًا خطابيًّا؟
- ما دَوْرُ لُغَةِ الجَسَدِ في تَكْوِينِ الخِطَابِ النَّحْوِيّ؟.

أقسام البحث:

انقسم البحث في هذه الدراسة إلى عدَّة مباحث:

المبحث الأوّل: لغة الجسد بوصفها لغة جانبيّة، وينضوي تحته:

1- منزلة لغة الجسد فيما يسمَّى باللُّغَة الجانبيَّةِ.

2-لغة الجسد بوصفها لغةً جانبيَّةً وعلاقتها بمفهومي الكلام واللُّغَة.

3- لغة الجسد بين الإنتاج والتلقِّي والتحليل.

4- لغة الجسد نظامٌ لغويٌّ أو جزءٌ من النظام اللُّغَوِيّ عند مقاربتها من منظور التلقي.

5- لغة الجسد دليلٌ على الجزء المحذوف من النِّظَامِ اللُّغَوِيّ عند مقاربتها من منظورِ إنتاجِ الكلامِ.

6- لغة الجسد وصلتها بقضيَّة الحذف والتَّقْدِير بين الوصفيّين والتَّحويليّن العرب:

المبحث الثاني: لغة الجسد وأثرها في مبنى التركيب النحوي ودلالته، الحذف عند سيبويه أنموذجًا، وينضوي تحته:

1- الحكم بوجود محذوف وتقديره.

2- الأحكام المتعلقة بالحذف.

المبحث الأوّل: لغة الجسد بوصفها لغة جانبيّة، وينضوي تحته:

1- منزلة لغة الجسد فيما يُسَمَّى باللُّغَة الجانبيَّة:

يتناول هذا البحث الأداءات الخارجيَّة أو ما يمكن تسميته القرائن أو اللُّغَة الجانبيَّة (paralangage) التي تصاحب الكلام المنطوق، وليست منه، وتؤثر في معناه. هذه الأداءات الخارجية (اللُّغَة الجانبيَّة) تختلف عن الأداءات الداخليَّة النابعة من القرائن الصوتيَّة والصرفيَّة والتركيبيَّة النحويَّة والمعجمية والبيانيَّة للكلمة أو التركيب. وتنقسم هذه الأداءات الخارجية إلى نوعين: أولهما: الأداءات الصوتيَّة: مثل: الوقفات، والتنغيم، والتزمين، والإيقاع. والآخر: الأداءات غير الصوتيَّة: مثل: سياق الحال، والحركة الجسديَّة المصاحبة للكلام[2].

اختلف علماء العربية في مفهوم اللُّغَة الجانبيَّة، فمنهم من يرى أنَّها تقتصر على الجوانب الصوتية التي تصاحب الكلام، فليست هي تلك الألفاظ التي ينطقها المتكلم، ولكنَّها

حالة الصوت عند نطق الألفاظ ارتفاعًا وانخفاضًا أو تنغيمًا أو غير ذلك[3]. ومنهم من يرى أَنَّهَا تَهْتَمُّ باستخدام الظواهر غير الصوتيَّة مثل: تعبيرات الوجه أو حركات الرأس أو العينين والإشارة بأعضاء الجسم التي قد تفيد الموافقة أو تضيف ظلالاً من المعاني إلى ما يقوله الناس[4]. والقسم الثالث -والأخير- يجمع بين المفهومين، ويرى أنها تطلق على الجوانب الصوتيَّة، والجوانب غير الصوتيَّة المصاحبة للكلام، فيرون أنها مزيج من الطرق الاجتماعيَّة المميزة، والإشارات الجسمانيَّة وتعبيرات الوجه وتغيرات الصوت، وغير ذلك[5]. ويرى من ذهب إلى أن اللُّغَة الجانبيَّة تقتصر على الجوانب الصوتية التي تصاحب الكلام، أنَّ المعنى المحَصَّلَ من الكلام له علاقة وثيقة بالأداء الصوتي المصاحب للكلام؛ لكونها تتعلق بحالة الصوت اللُّغَوِيِّ عند النُّطْقِ بالجملة، فالجملة بوصفها كلامًا منطوقًا لا يتأتى معناها المقصود بالألفاظ فقط بل هناك وسائل وأداءات صوتية تشترك في تحديد المعنى؛ ولذا فإنَّ اللُّغَوِيِّين رصدوا موازين معينة لهذه اللُّغَة الجانبيَّة تُؤَثِّرُ في معنى الكلام، قد تضيف معنًى جديدًا على ما تُؤَدِّيه الألفاظ، وقد تُؤَدِّي عكس ما تُؤَدِّيه الألفاظ، ومن هذه الموازين: ميزان جهارة الصوت وميزان طبقة الصوت، وميزان الصوت المنفتح وميزان البطء والسرعة[6]. فاللُّغَة الجانبية بهذا المفهوم لها دلالات عرفيَّة شأنها شأن اللُّغَة العاديَّة، وقد تُؤَدِّي أحيانًا عكس ما تُؤَدِّيه اللُّغَة المنطوقة نفسها؛ ولذا فإنَّ هذه اللُّغَةَ تعتبر جزءًا من علم ما وراء اللُّغَة[7].

2 -لغة الجسد بوصفها لغة جانبيَّةً وعلاقتها بمفهومي الكلام واللُّغَة: تندرج لغة الجسد بوصفها لغة جانبيَّة في مفهوم الكلام عند دي سوسير[8]، والأداء أو اللُّغَة المجسَّدة عند نعوم تشومسكي[9]، حيث الكلام بوصفه أداء أو سلوكًا لغويًّا بشريًّا ضربان: ضربٌ إنتاجيٌّ (produtive) أو كما كان يسمّيه القدماء أداء نشطًا أو فاعلاً (active)، وهو حين يُنْتِجُ الإِنْسَانَ اللُّغَة، أَيْ حِيْنَ يَكُونُ مُتَكَلِّمًا أَوْ كَاتِبًا وَضَرْبٌ استقباليٌّ (receptive) أو ما كان يسمَّى أداء سلبيًّا (passive) وهو حين يستقبلُ الإنسانُ اللُّغَة، وَيَتَلَقَّاهَا أَيْ حِينَ يَكُونُ مُسْتَمِعًا أَوْ قَارِئًا، وَيَكَادُ الاهتمامُ العِلْمِيُّ أَنْ يَكُونَ مُنْصَبًّا عَلَى الضَّرْبِ الاسْتِقْبَالِيِّ لِلُغَةِ؛ لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ عَمَلِيَّاتٍ دَاخِلِيَّةٍ كَثِيرَةٍ[10].

هذا الضربُ الإنتاجيُّ للكلامِ تتعدَّدُ وَسَائِلُهُ لَكِنَّهَا تَعُودُ في نهاية الأمر إلى لُغَةٍ صَائِتَةٍ تَعْنِي مجموعةً من الحروف المقطعية الملفوظة المؤتلفة في نسق تركيبي له خصائصه وسماته للدلالة على معنى تركيبي مفيد يعبّرُ عَمَّا يجول بخاطر المتكلِّم، ولغة صامتة تشمل: الخط، والإشارة وتشمل: الحركات الجسديَّة، وما تدركه الحواس من مواقف وأشياء وملابسات عدَّةٍ تكتنفُ الموقف الكلامي، والعقد، والنصبة (سياق الحال) [11]

3- لغة الجسد بين الإنتاج والتلقي والتحليل:

لغةُ الجَسَدِ ضَرْبٌ مِنَ اللُّغَة الجَانِبِيَّةِ المصَاحِبَةِ للكَلامِ، تَشْمَلُ فِي عُمُومِهَا: الحركاتِ الجَسَدِيَّةَ، وَمَا تُدْرِكُهُ الحَوَاسُّ، وَتَتَنَوَّعُ مَصَادِرُهَا، فَمَرَّةً تَكُونُ مِنْ جَانِبِ المتَكَلِّمِ، وَمَرَّةً تَكُونُ مِنْ جَانِبِ المخَاطَبِ، وَمَرَّةً تَكُونُ حَالَةً مُشْتَرَكَةً عَبْرَ مَوْقِفٍ حَرَكِيٍّ يُمَثِّلُ مَشْهَدًا حَاضِرًا مُدْرَكًا بالحِسِّ. وهذه اللُّغَة مَهْمَا تَنَوَّعَ مَصْدَرُهَا لَهَا أَثَرٌ فِي إِنْتَاجِ الكَلامِ مِنْ قِبَلِ المتَكَلِّمِ أَوْ تَلَقِّيهِ مِنْ قِبَلِ المخَاطَبِ، والمحَلِّلُ اللُّغَوِيُّ (النَّحْوِي) مُرَاقِبٌ لِهَذِهِ العَمَلِيَّةِ لاسْتِكْنَاهِ المعَانِي البَاطِنَةِ واسْتِخْرَاجِهَا فِي مَبْنَى التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ الذِي يَدُورُ بَيْنَ المتَكَلِّمِ والمخَاطَبِ[12].

4- لغة الجسد نظامٌ لغويٌّ أو جزءٌ من النِّظَامِ اللُّغَوِيّ عند مقاربتها من منظور التَّلَقِّي:

ذلك أنَّ المقصدَ من عملية التَّخَاطُبِ مَبْنِيٌّ عَلَى الإِفَادَةِ والإِبَانَةِ عَمَّا فِي النَّفْسِ، فَكُلُّ رِسَالَةٍ مِنَ المتَكَلِّمِ إلى المخَاطَبِ مَحْكُومَةٌ بِهَذَا المبْدَأِ فَمَتَى مَا أَدَّتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ هَذَا الغَرَضَ- وَعَلَى أَيِّ شَكْلٍ كَانَتْ- عُدَّتْ نِظَامًا لُغَوِيًّا مُتَكَامِلاً. وَقَدْ تَنْطَوِي هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى مجموعةٍ من حركاتِ الجَسَدِ، وإيماءاتِه المصاحبةِ للَفْظِ، وقد تكونُ هذه الحركاتُ هِيَ كُلُّ مَا دَارَ بَيْنَ المتَكَلِّمِ والمخَاطَبِ[13]. كما تقع دلالات لغة الجسد في إطار الدلالات غير اللَّفْظِيَّة في التراث اللغوي[14]؛ولذا يعدُّهَا ابن هشام في البيان الذي يطلق على الكلام لغةً، ويعدُّ فيه الحدث الذي هو التكلُّم وما في النفس مِمَّا يُعَبَّرُ عنه باللَّفْظِ المفيد، وما تحصل به الفائدة سواءً كان باللَّفْظِ أو الخط أو الإشارة أو ما نطق به لسان الحال [15]، وعدَّ بعضهم في الكلام "ما يُفْهَمُ من حال الشيءِ مَجَازًا"[16] ويظهر الأمر أكثر في القول، فقد عدُّوا فيه مثل: "فقالت له العينان: سمعًا وطاعةً"، ومثل "قال بيده أشَارَ"، ومثل "قال برأسه أشار "ومثل "قال بثوبه رَفَعَهُ"[17]. ويقول عبد القاهر الجرجاني: "فتجد في الحال وصفًا هو شبيه بالنُّطق من الإنسان وذلك أنَّ الحال تدلُّ على الأمر، ويكون فيها أماراتٌ يُعْرَفُ بها الشيءُ كما أنَّ النُّطق كذلك، وفي العين وَصْفٌ شبيه بالكلام، وهو دلالتها بالعلامات التي تظهر فيها وفي نظرها وخواصِّ أوصافٍ يُحْدَسُ بها على ما في القلوب من الإنكار والقبولِ"[18]. ويروي في موضع آخر عن رجلٍ أتى الجمحيَّ يستشيره في شأن امرأةٍ يريد الزَّواج منها، فسأله عن بعض أحوالها فلَمْ يَفْهَمْ سؤاله، فقال: إِنِّي لأَعْرِفُ في عين الرَّجُلِ إِذَا عرفَ، وَأَعرِفُ فيها إذا أَنْكَرَ، وَأَعْرِفُ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يُنْكِرْ، أَمَّا إذا عَرَفَ فإِنَّهَا تُخَاوِصُ، وإِذَا لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يُنْكِرْ فإِنَّهَا تَسْجُو، وإذا أَنْكَرَ فإِنَّهَا تَجْحَظُ "[19]، ثمَّ أَضَافَ الجرجاني أنَّ أَمر لغة العيون كان معروفًا في عصره[20]. ويرى ابن طفيل أنَّ الإنسان "إذا احتاج أن يعرف غيره ما في ضميره أو مقصوده بضميره استعمل الإشارة في الدلالة على

ما كان يريد إذا كان من يتلمَّس تفهيمه بحيث يبصر إشارته ثمَّ استعمل بعد ذلك التَّصويت"[21]. وفي السياق ذاته عَدَّ الجاحظ وسائل البيان، وهي اللَّفْظُ، والإشارة، والعقد، والخطُّ، والحال التي تُسَمَّى النَّصبة[22]، فأَمَّا الإشارة فهي ما نعنيه في هذا البحث من الحركات الجسدية وما تدركه الحواس، كما رأى أَنَّ حُسْنَ الإشارة باليد والرأس إنَّما هو من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدَّلِّ والشَّكْلِ والتَّفَتُّلِ والتَّثَنِّي واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور[23].

كما أنَّ للإشارة واللَّفْظِ عنده رتبًا مختلفة يصرِّفها المتكلِّمُ كيفما شاء وحسب مقصده في رسالته اللغوية، فقد يكون اللَّفْظُ أسبق في الرتبة من الإشارة وقد يكونان في آنٍ واحد معًا فيقعان موقعًا واحدًا من الرُّتْبَةِ[24].

وحينئذٍ تكونُ لدلالاتِ الإشارةِ أو لُغَةِ الجَسَدِ أَهَمِيَّةٌ كُبْرَى دَاخِلَ النِّظَامِ اللُغَوِيّ، فَلَهَا دلالاتٌ وَإِيْحَاءَاتٌ وَإِيَمْاءَاتٌ لا يمكن أن تصلَ إلى المخاطَبِ إلَّا بواسطتها، وَيَصِفُ الجَاحِظُ هَذِهِ الدِّلالاتَ **بـ(خَاصِّ الخَاصِّ)**[25].

ويرى الجاحظ أنَّ **معنى خاصِّ الخاصِّ هو** الذي: "لا اسم له إلَّا أَنْ تَجْعَلَ الإشارةَ المقرونة باللَّفْظِ اسْمًا"[26]، ومِمَّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ أنَّ الجاحظ قَسَّمَ الإشارة أو اللُّغَة الإشاريَّة في مجمل حديثه عنها ثلاثة أقسام على النَّحْوِ الآتي:

1- **الإشارة المصاحبة للَّفْظِ**: هي شريك للَّفْظِ في أداء المعنى الكُلِّي، فـ "الإشارةُ واللَّفْظُ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللَّفْظِ"[27].. ويتحدَّث الجاحظ عن المتكلِّم الذي يستعمل حركات جسده أثناء الكلام بقوله: "وَلَوْ قُبِضَتْ يَدُهُ وَمُنِعَ حَرَكَةَ رَأْسِهِ لَذَهَبَ ثُلُثَا كَلامِهِ"[28].

2- **الإشارة غير المصاحبة للَّفْظِ**: هي في هذه الحال ليست نمطًا تَوَاصُلِيًّا ثَانَوِيًّا تابعًا للَّفْظِ، بل تُكَوِّنُ لنفسها نظامًا خاصًّا ذا جهازٍ منفصلٍ عن جهاز النُّطْقِ[29]، وهي بذلك أداة تواصل بين المرسل والمتلقِّي، يبرز أثرها في حال عجز الصَّوت عن بلوغ الأذن لتباعد المُتَخَاطِبين، أو نتيجة الضوضاء، وكثرة الأصوات واختلاطها على السَّامع "لأَنَّهُ مَتَّى كَثُرَتْ الأَصواتُ صارت وَغًى، وَمَنَعَ بعضُهَا بَعْضًا من الفَهْمِ"[30].

3- **الإشارة باعتبارها نسقًا ثقافيًّا**: هي إشارات لا تصنعها حركات أعضاء الجسم ولا هيئاته، لكنَّها تنبثق عن مختلف العناصر التي تُكَوِّنُ نَسَقَ حياة العرب الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة،

فـ"القَضِيبُ للإِيْقَاعِ، والقَنَاةُ للبَقَّارِ، والعَصَا للقِتَالِ، والقَوْسُ للرَّمْيِ"[31]. وَيُقَرِّرُ ابن جني أنَّ الحذف قد يكون من نصيب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وَلَكِنَّهُ لا يُلْقِي حُكْمَهُ هذا على عواهنه غَيْرَ مُقَيَّدٍ ولا مُخَصَّصٍ، فلا بُدَّ للمحذوفِ من دليلٍ يَدُلُّ عليه، ويُعْتَاضُ به عن المحذوف، وإِلَّا تخلَّقَ التَّفَاصُلُ وامَّحَى التَّوَاصُلُ، وكان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته[32]، ومن الدلائل على المحذوف ما يصحب الكلام المنطوق من حركات جسديَّة وما تدركه الحواس من ذلك، ويضرب مثالاً على ذلك حذف الصفة لدلالة ملابسات الموقف الكلامي عليها، يقول ابن جني: "وقد حُذِفَت الصِّفة ودلَّت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: يَسِيرُ عَلَيهِ ليلٌ، وَهُمْ يريدون: لَيْلٌ طويلٌ، وكأَنَّ هذا إنَّمَا حُذِفْتَ فيه الصِّفَةُ لِمَا دَلَّ من الحالِ على موضعها، وذلك أَنَّكَ تُحِسُّ في كلام القائل لذلك من التَّطْوِيح والتَّطْرِيح والتَّفْخيم والتَّعظيم ما يقوم مقام قوله: ليلٌ طويلٌ أو نحو ذلك"[33].

ثمَّ يقول: "وأنت تحسُّ ذلك من نفسك إذا تأمَّلْته، وذلك أَنَّك تكون في مدح إنسانٍ والثَّنَاء عليه فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد في قوَّة اللَّفْظِ بـ(والله) هذه الكلمة، وتَتَمَكَّنُ في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها، وعليها أي: رجلاً فاضلاً أوشجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك، وكذلك تقولُ: سألناه فوجدناه إنسانًا! وتُمَكِّنُ الصَّوْتَ بـ(إنسان) وتُفَخِّمُهُ فتَسْتَغْنِي بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك، وكذلك إِنْ ذَمَمْتَهُ وَوَصَفْتَهُ بالضِّيق قلْتَ: سألناه وكان إنسانًا! وتزوي وجهك وتُقَطِّبُهُ، فيُغْنِي ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا"[34].

كما ينقل ابن جنّي عن بعض مشايخه قوله: "وأنا لا أُحْسِنُ أَنْ أُكَلِّمَ إنسانًا في الظُّلْمَةِ"[35]، كما يأبى ابن جني أن يكون استماع الأذن مغنيًا عن مقابلة العين في الدِّلالَةِ على مقصود المتكلِّم، ولو كان ذلك كذلك لَمَا تَكَلَّفَ القائل، ولَمَا كَلَّفَ صاحبه الإقبال عليه والإضغاء له[36]، ومِمَّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنّ اللُّغَةَ الصائتةَ لا تقدِّمُ المعنى الكلّي بل كما يظهر من ثنائية ابن جني أنَّ اللُّغَةَ الصامتةَ لها دور في إيصال المعنى، بل هي شريكٌ فيه[37].

وقد تنبَّهَ ابن وهب إلى دور اللُّغَةِ الصامتةِ في بيان المعنى وكونها شريكًا في ذلك للُّغَةِ الصَّامِتَةِ، فَأَطْلَقَ عَلَى البيان بالإشارة مصطلح (الوحي) مشيرًا إلى الدلالة الإيحائية التي يتضمَّنُهَا، حيث يقول: "وأمَّا الوحي فإنَّها الإبانةُ عَمَّا في النفس بغير المشافهة، على أيّ معنى وقعت من إيماءٍ أو إشارةٍ"[38]. كما ارتضى (دي سوسير) أن يكون للكلمة جانبان: واحدٌ ماديٌّ، والآخَرُ معنويٌّ، أمَّا الماديُّ فهو الدَّالُّ، وأمَّا المعنويُّ فهو المدلول، والحق أَنَّ الحركة الجسديَّة كذلك أمرها، فَلَهَا دَالٌّ وَمَدْلُولٌ، فَأَمَّا الدَّالُّ فَهُوَ الصُّورَةُ التَّشْكِيْلِيَّةُ التِي تَتَجَلَّى عَلَيْهَا الحَرَكَةُ،

وَأَمَّا المدلولُ فَهُوَ دَلالَةُ هَذِهِ الحَرَكَةِ فِي سِيَاقِهَا الذِي وَرَدَتْ فِيهِ، فاللُّغَة الصَّامِتَةُ شريكةٌ للُّغَةِ الصَّائِتَةِ في بيان المعنى الكلّي للتَّرْكِيبِ، وَكِلاهُمَا يُفْصِحُ عَنْ مَدْلُولِهِ الخَاصّ، وَهُمَا يَفْتَرِقَانِ فِي نَوْعِ الدَّالّ فَهُوَ فِي اللُّغَةِ الصَّائِتَةِ صَوْتِيٌّ، وَذُوَ طَبِيعَةٍ رَمْزِيَّةٍ وفي اللُّغَة الصَّامِتَةِ حَرَكِيٌّ وَذُو طبيعةٍ رَمْزِيَّةٍ أيضًا[39]. كما أنَّ الكلمة يكون لها معنيان فأكثر، فتكون من قبيل المشترك اللَّفْظِيّ، فإنَّ الحركة الجسديَّة قد يكون لها أكثر من معنى بحسب سياقها، فتكون من قبيل المشترك الحركي، وكما أنَّ المعنى الواحد قد تعتوره كلمتان فأكثر، فينشأ من ذلك الترادف اللغوي، فإنَّ المعنى الحركي قد يُسْتَدَلُّ عليه بأكثر من حركةٍ جسديَّةٍ تدلُّ على المعنى ذاته، فينشأ من ذلك الترادف الحركيُّ[40]. وقد ظَهَرَ في السنوات الأخيرة علمٌ يَهْتَمُّ بهذا المجال يُنْسَبُ إلى العالم الأنثروبولوجي (ري بيردوسل)، وَأَطْلَقَ عليه مصطلح (kinematics) أو مصطلح (kinetics) وهو علمٌ يدرسُ الحركاتِ الجسديَّةَ المصاحبةَ للكلام حينًا، وتسدُّ مسدَّه حينًا آخر، ولها معنى معيَّنٌ عند جماعةٍ لغويَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، وتَتَّخِذُ هذه الحركات أشكالاً مختلفةً، وتَتِمُّ أَحْيَانًا باليد أو بالرأس أو بالعين أو بالجسم الإنساني كلِّه، وتَتَوَزَّعُ حَسَبَ المواقف المختلفة[41]، ويستخدم هدا العلم وحدة تحليلية تسمَّى (الكينيم kineme) وتدلُّ على الحركة المجردة من حركات الجسم، ويستعين هذا العلم بالرسم والتصوير لتحديد الحركات المصاحبة للكلام، ويؤكد هذا العلم أَنَّ الحركة الجسديَّة ليست حركات فسيولوجيَّة، ولكنَّها نظامٌ اجتماعيٌّ شَأْنُهُ شَأْنُ اللُّغَةِ تُؤْخَذُ بالاكتساب، وتدرس في إطار المجتمع، ولذلك فقد اتَّجَهَ علماءُ الحركةِ الجسديَّةِ إلى تطبيق مناهج اللُّغَوِيّين في البحث[42]، فقسَّموا هذه الحركات إلى حرَكَاتٍ فِطْرِيَّةٍ وحَرَكَاتٍ مَوْرُوثَةٍ وَحَرَكَاتٍ مُكْتَسَبَةٍ، ومِمَّا يجب التأكيد عليه أنَّ الحركات الجسديَّة ليست مسألة عضويَّة فحسب بل هي نِظَامٌ يتعلَّمُهُ الإنسانُ داخل المجتمع، وله أنماطه الخاصة بالثقافة، بل إنَّ هناك اختلافات كبيرة بين المجتمعات في استخدام الحركات الجسديَّة ودلالاتها[43].

5- لغة الجسد دليلٌ على الجزءِ المحذوفِ من النِّظَامِ اللُّغَوِيّ عند مقاربتها من منظور إنتاج الكلام:

ذلك أنَّ اللُّغَةَ كَمَا يقولُ ابن جني في باب القول على اللُّغَةِ، وما هي: "أَمَّا اللُّغَةَ فَإِنَّها أَصواتٌ يُعَبِّرُ بِهَا كلُّ قومٍ عن أغراضهم"[44].ويفرِّق الجاحظ بين الصوت اللُّغَوِيّ الذي هو نتاج عمليتي التقطيع والتأليف، وباقي الأصوات الصرفة المصمَتَةِ التي يُصْدِرُهَا الإنسانُ، فيقولُ: "الصوت هو آلة اللَّفْظِ، وهو الجوهر الذي يقومُ بِهِ التَّقْطِيعُ، وَبِهِ يُوْجَدُ التَّأْلِيفُ، وَلَنْ تَكُونَ حركاتُ اللِسَانِ لَفْظًا، وَلا كَلامًا مَوْزُوْنًا، وَلا مَنْثُورًا إِلَّا بظهور الصَّوْتِ، وَلَنْ تَكُونَ الحروفُ كلامًا إِلَّا بالتقطيع والتأليف"[45]. ويقول في المعنى ذاته: "وَأَبْعَدُ فَهْمِكَ لِصَوْتِ صَاحِبِكَ وَمُعَامِلِكَ،

والمُعَاوِنِ لَكَ، مَا كَانَ صِيَاحًا صِرْفًا وَصَوْتًا مُصْمَتًا، ونداءً خَالِصًا، ولا يكونُ ذلكَ إلَّا وَهُوَ بعيدٌ منَ المُفَاهَمَةِ، وَعُطْلٌ منَ الدِّلالَةِ"[46]. وَسَمَّى الجاحظُ الكَلامَ الملفُوظَ بأسماء عدَّة منها: البيان[47]، البيان باللسان، المبيّن للجنس والنَّوع[48]، المنطق[49]. ويكشف الجاحظ عن جانبٍ يتعلَّقُ بدلالة الألفاظ على معانيها، فهناك عواملُ أُخَرُ تَتَحَكَّمُ في وصولِ مَا يُسَمَّى في الدراسات الحديثة الحمولة الدلاليَّة، أو الشحنة التَّبْلِيغِيَّة، أَوْ القُوَّة الإنْجَازِيَّة للكلامِ الملْفُوظِ، وإتمامِ عمليَّةِ التَّوَاصُلِ بَيْنَ المتكلِّم (المنتج للكلام) والمخاطَب (المُتَلَقِّي)، هذه العواملُ تَكْمُنُ في أمرين: الأوَّل: السَّنَنُ المشْتَرَكُ، أو الثقافة المشتركة التي قد تعود إلى البيئة الاجتماعيَّة المشتركة أو العرف الاجتماعي، **والثاني: معرفة أصل الوضع في الكلام الملفوظ**. فإذَا فُقِدَا لم يكن الكلامُ الملفوظُ بيانًا، ولم يَعُدْ سوى تصويتٍ لا مَعْنَى لَهُ بالنسبة للمُتَلَقِّي، يَقُولُ الجاحظُ:" وَكَذَلِكَ كَلامُ العَرَبِ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَخْرَجْتَهُ مِنْ حَدِّ البَيَانِ، وَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَنْطِقٍ؛ لأَنَّكَ لَمْ تَفْهَمْ عَنْهُ فَأَنْتَ أَيْضًا لا تَفْهَمُ كَلامَ عَامَّةِ الأُمَمِ، وَأَنْتَ إِذَا سَمَّيْتَ كَلامَهُمْ رِطَانَةً وَطَمْطَمَةً، فَإِنَّكَ لا تَمْتَنِعُ مِنْ أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ ذَلِكَ كَلامُهُم وَمَنْطِقُهُمْ، وَعَامَّةُ الأُمَمِ أَيْضًا لا يَفْهَمُونَ كَلامَكَ وَمَنْطِقَكَ، فَجَائِزٌ لَهُم أَنْ يُخْرِجُوا كَلامَكَ مِنَ البَيَانِ والمَنْطِقِ، وَهَلْ صَارَ ذَلِكَ الكَلامُ مِنْهُم بَيَانًا وَمَنْطِقًا إِلَّا لِتَفَاهُمِهِمْ حَاجَةَ بَعْضِهِمْ إِلى بَعْضٍ؛ وَلأَنَّ ذَلِكَ كَانَ صَوْتًا مُؤَلَّفًا خَرَجَ مِنْ لِسَانٍ وَفَمٍ"[50]. ثمَّ إنَّ هَذَا السَّنَنَ المشتركَ يُمَثِّلُ ما يُسَمَّى في المنهج السِّيميائِي الشَّفْرَة التي تُوْجَدُ في العلامة اللغويَّة الملفوظة، وقد يكون عامًّا يشترك في امتلاكه جميع الناطقين باللُّغَةِ الواحِدةِ، وقد يكون خاصًّا مقصورًا على نُخَبٍ اجتماعيَّةٍ أو ثقافيَّة خاصَّةٍ[51]. ويشير الجاحظ في سياق بيان أهمية البيان باللِسانِ إلى أنَّ "الحاجة إلى بيان اللسانِ حاجة دائمة واكدة، وراهنة ثابتة"[52]، وذلك انطلاقًا من كونها هي الأصل في وسائل البيان وهي النموذج المحتذى في وسائل التعبير، وتبقى الوسائل الأُخَر التي قد يستخدمها المتَكَلِّمُ تبعًا له، فأَوَّل ما يفكِّرُ المتكلِّم باستخدامه من وسائل التعبير، وأقواها هو الكلام الملفوظ، يقول:"وقُلْنَا في العَقْدِ وَلِمَ تَكَلَّفُوهُ، وفي الإشَارَةِ ولِمَ اجْتَلَبُوهَا، ولِمَ شَبَّهُوا جميع ذلك ببيان اللسان، حتَّى سَمَّوهُ بالبيان.....،وقُلْنَا في الحَاجَةِ إلى المَنْطِقِ وعمومِ نَفْعِهِ وشِدَّةِ الحَاجَةِ إلَيهِ، وَكَيْفَ صَارَ أَعَمَّ نَفْعًا، ولجميع هذه الأشكال أَصْلاً، وصَارَ هُوَ المُشْتَقُّ مِنْهُ، وهو المحمولُ عليهِ"[53]. وتصلُ الألفاظُ إلى الدَّرَجَةِ العُلْيَا في قدرتها على إيصالِ حمولتِهَا الدِّلالِيَّةِ حينما يُخْرِجُ المتكلِّمُ كلامَهُ على أقدار المعاني، والمقامات، والمخَاطَبين، يقول الجاحظُ: "يَنْبَغِي للمُتَكَلِّمِ أَنْ يَعْرِفَ أَقْدَارَ المَعَانِي، وَيُوَازِنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَقْدَارِ المُسْتَمِعِينَ، وَبَيْنَ أَقْدَارِ الحَالاتِ فَيَجْعَلَ لِكُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ ذَلِكَ كَلامًا، وَلِكُلِّ حَالَةٍ مِنْ ذَلِكَ مَقَامًا **حَتَّى يُقَسِّمَ أَقْدَارَ الكَلامِ عَلَى أَقْدَارِ المَعَانِي، وَيُقَسِّمَ أَقْدَارَ المَعَانِي عَلَى أَقْدَارِ المَقَامَاتِ، وَأَقْدَارِ**

المُسْتَمِعِينَ عَلَى أَقْدَارِ تِلْكِ الحَالاتِ"[54]. ويرى عبد القاهر في إطار المعنى ذاتِهِ أَنَّ الناظم إذا أرادَ أن يَنْظِمَ كلامًا في أيِّ غرضٍ، يبدأ فَيُرَتِّبُ المعاني في نفسه أَوَّلاً، ويبذلُ جهدًا في ترتيبها، ثم يحذو على ترتيبها الألفاظ، فإذا وَجَبَ لمعنى أن يكون أَوَّلاً في النفس، وَجَبَ للفظِ الدَّالِ عليه أن يكون مثله أَوَّلاً في النُّطْقِ[55]، ويفرّق عبد القاهر بين حروفٍ منظومةٍ وكلمٍ منظومٍ، وذلك أنَّ نظم الحروف هو توالِيها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضٍ عن معنى، ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسمًا من العقل اقتضى أن يتحرَّى في نظمه لها ما تَحَرَّاهُ، أمَّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأَنَّكَ تقتضي في نظمها آثار المعاني فَتُرَتِّبُ أَلْفَاظَ الكلامِ على حسب ترتيب المعاني في النفس[56]. فتفرقة الجرجاني في النَّصِّ السَّابق بين الحروف المنظومة والكلم المنظوم تفرقة ذكية للغاية، ذلك أنَّ العرب تتصرف في كلامها تصرف الواعي الخبير بمعاني ألفاظها وتراكيبها في سياقات متنوعة، وذلك بناء على قواعد مركوزة في أذهانهم تمثل الكفاءة اللغوية لمستعملي اللُّغَة[57]، هذه الكفاءة تتحوَّل إلى واقع عملي على مستوى الأداء الفردي أو الجماعي الذي يصدر عن جماعة كلاميَّةٍ واحدة، ولكن بدرجاتٍ متفاوتةٍ[58]؛ ولذلك تتمايز مستويات الفصاحة والبيان من فرد إلى فرد آخر، ومن جماعة كلامية إلى جماعةٍ كلامية أُخْرَى، فإذا انتقلنَا إلى واقع اللُّغَة المؤدَّى نجد هذه القواعد الذهنيَّة المركوزة قد تجسَّدت في ظواهر لغوية متنوعة كالذكر، والحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والاعتراض، والإقحام، والتأكيد، وغير ذلك. فعندما يُخْرِجُ المتَكَلِّمُ كَلامَهُ صحيحًا من الناحية التأليفية والإعرابية دون مراعاة للمعاني الداخليَّة في نفسه، فيخرج الكلام دون حذفٍ لأيِّ جزءٍ من أجزائه ودون تقديمٍ أو تأخيرٍ أو اعتراضٍ أو حتى تأكيدٍ، فيأتي بالكلام على أوَّل أمرهِ، فَإِنَّهُ لا يُؤَدِّي أَكْثَرَ من حروفٍ منظومةٍ عند الجرجاني لا يبتغي من نظمِهَا ولا يَتَوَخَّى إِلَّا عدم انْفِرَاطِهَا فقط، وهو بها يسير وفق الكفاءة اللغوية بمعناها الأقوى عند تشومسكي (النَّحْو العام)، فلا مزيَّة في نظمِهِ تُمَيِّزُهُ عن الآخرين، ولو كان الأمر على ما كان منه لَتَسَاوَى المتَكَلِّمُونَ جَمِيعُهُم في طَرِيقَةِ إِفْصَاحِهِمْ عَنْ مَكْنُونَاتِهِم، لَكِنَّهُ حِينَمَا يُخْرِجُ الكلامَ مراعيًا الناحيةَ التأليفيَّةَ، وَصِحَّةَ الإعراب في التركيب والمعاني الداخليَّة في نفسه فيقدِّم ما كان في نفسه أَهَمُّ، وما كان ببيانه يعني أَوَّلاً، وَيُؤَخِّرُ مَا عَدَا ذلك، ويعترض بالجملة في موطنٍ يتطلَّبُ الاعتراض لاحتراسٍ أو احترازٍ أَوْ غير ذلك، ويحذف ما ليس له داعٍ في الكلام، ويذكر المحذوف خشية الإلباس على المتكلِّم، ويزيد في الكلام لتأكيدِ المعنى أو للاحتياط له، إذا كان يفعل هذا كُلَّهُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَ بكلامِهِ دَرَجَةَ الكَلِمِ المنظوم الذي يشي ببلاغة وافية عند الجرجاني، وهو يسير وفق الكفاءة اللغوية بتعريفها الأضعف عند تشومسكي (النَّحْو الخاص). فالمنتجُ للكلامِ يبلغُ الذروةَ في التعبير عمَّا يجول بخاطره إذا

استخدم كفاءَتَهُ اللُّغَوِيَّةَ في أعلى طاقاتِهَا، لكنَّهُ ينطلق في ذلك من كفاءَةٍ لُغَوِيَّةٍ اعْتِيَادِيَّة :الكفاءة اللغوية بمعناها الأقوى عند تشومسكي (النَّحْو العام) كمرحلةٍ أولى لا يمكنُ إغفالها، قد يلجأ إليها إذا شَعَرَ بِأَنَّ المخَاطَبَ لَمْ يَفْهَمْ مَا أَرَادَهُ أَوْ إِذَا وَجَّهَ كَلامَهُ لمخَاطَبٍ أَقَلَّ في درجة الفهم والتواصل معه. فإذا كانَ المخاطَبُ في درجةٍ أعلى من الفهم والتواصل مع المتكلِّم وفق سياق يسمح للمخاطب فهم رسالة المتكلِّم فإنَّ المتكلِّم يستخدم في رسالته وسائل أُخَرَ غير الأصوات المقطعية المؤتلفة للدلالة على مدلولاتها اللغوية، فقد يستخدم الإشارةَ، والصُّورةَ، والخطَّ، وهيئةَ الحالِ، وحركاتِ الجسدِ، وَكُلَّ مَا كَانَ مُؤَدِّيًا إلى فهم رسالته، وَهُنَا يَلْجَأ المتكلِّمُ إلى كفاءةٍ أُخْرَى هِيَ الكَفَاءَةُ الاتِّصَالِيَّةُ أو التَّوَاصُلِيَّةِ عند أصحاب اللسانيات الاجتماعية والتداوليين، وفي ذلك دليل على بلاغة العرب وفصاحتها وقوَّةِ بَيَانِهَا. **<u>وَلَمَّا كانت اللُّغَة في أصلِ وَضْعِهَا أصواتٌ يعبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم، ولَمَّا كان الحذفُ من بنية الكلامِ للاستغناء عن المحذوف[59] من أهمّ المظاهر التي يَتَجَلَّى فيها تَأْثِيرُ استعمالِ المتكلّم للأنظمة العلاماتيَّة غيرِ اللَّفْظِيَّة -وَمِنْ بَيْنِهَا لُغَةُ الجَسَدِ- في مبنى التركيب ودلالته، كَانَ لابُدَّ للمحلّل اللُغَوِيّ أَنْ يُرَاقِبَ هَذَا التَّغْيِيرَ في بِنَاءِ التَّرْكِيبِ وَدلالَته، فَنَشَأَ مِنْ ذَلكَ الحَذْفُ، والتَّقْديرُ في التَّرْكِيبِ.</u>**

لكنَّنَا لا نعدم وجود إشارات من كلام النُّحاة تفيد بأهمية استعمال الأنظمة العلاماتيَّة غير اللَّفْظِيَّة في الخطاب النّحْوِيّ، بل إنَّها تُشَكِّلُ لَدَى بَعْضِهِمْ جُزْءًا من أجزاء التركيب الذي يُمَثِّلُ رسالة المتكلِّم، يقول الرُّمَّاني:"الذي يجوز في إضمار الفعل المأمور به أو المنهي عنه حذفه إذا كانت الحالُ دالَّةً على المعنى تقوم مقام اللَّفْظِ، وصارت خلفًا منه في إحضار المعنى للنفس، والإفهام به كالإفهام باللَّفْظِ المحذوف.....، ولهذا جاز أن يُغَيِّرُوا الكلامَ عن حدِّه في الموضوع للاستغناء عنه بدلالة الحال، فلا يُحْتَاجُ إلى التَّكَلُّمِ به على هذه الشَّرِيطَةِ، ويكون الحذفُ أَوْلَى من الذِّكْرِ؛ لأَنَّهُ أَقْرَبُ في إفهام المعنى، وَأَقَلُّ كُلْفَةً فِيمَا يُعْمَلُ من النُّطْقِ بِهِ"[60]. ويقول في موضع آخر: "إِذَا كَانَتِ الدِّلالَةُ بِهَذِه المَنْزِلَةِ، فَلَيْسَ عَلَى المتَكَلِّمِ إلَّا أَنْ يُفْهِمَ المخَاطَبَ كَمَا لَيْسَ عَلَيْهِ لَوْ أَتَمَّ الكَلامَ"[61]. ويقول ابن عصفور في شَرْحِهِ الإيضاحَ لأبي علي الفارسي: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّفْظَةَ المفْرَدَةَ وُجُودًا وَتَقْدِيرًا قَدْ تَكُوْنُ كَلامًا إِذَا قَامَتْ مَقَامَ الكَلامِ، وَجَعَلَ مِنْ ذَلِكَ (نَعَمْ) وَ(بَلَى)، فإِنَّهُمَا كَلامَانِ، وَلَيْسَا بِمُرَكَّبَيْنِ"[62]. إلَّا أنَّنا إذا أمعنا النَّظر في هذه النصوص وجهة معالجتها للمسألة أدركنا أنها كانت تنطلق في نظرتها إلى الأنظمة العلاماتيَّة غير اللَّفْظِيَّة وأثرها في التركيب **من منظور التَّلَقِّي** أي: من جهة تَلَقِّي المخَاطَب للرِّسَالَةِ، ومدى فهمه لها من عدمه. إذ لا معنى لـ (نعم) و(بلى) وحدهما، حتى وإن أدرك المخاطب المعنى، فقد لا يدركه آخر، وقد لا يدركه أصلاً، وحينئذ لا يُعَدُّ كلامًا باتفاق الجميع. ولذا فإنَّ ابن جنِّي يُقَرِّرُ هذه

الحقيقة فيقول: "وإنَّما قَالَ النَّحْوِيُّونَ: عامل لفظيٌّ، وعامل معنويٌّ؛ ليروك أنَّ بعض العمل يأتي مسبَّبًا عن عمل يصحبه، كـ: مررتُ بزيدٍ، وليت عمرًا قائمٌ، وبعضه يأتي عاريًا من مصاحبة لفظ يتعلَّق به، كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول، فأمَّا في الحقيقة، ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنَّصب والجرّ والجزم إنَّمَا هو للمتكلِّم نفسه لا لشيءٍ غيره، وإنَّمَا قالوا: لفظيٌّ، ومعنويٌّ لَمَّا ظهرت آثار فعل المتكلِّم بمُضامَّةِ اللَّفْظِ للَّفْظِ، أو باشتمال اللَّفْظِ على المعنى، وهذا واضح"[63]. لذا فإنَّ العامل المحذوف أو المعمول المحذوف استغناء عنهما بالأداءات المصاحبة للكلام أو الأنظمة العلاماتيَّة غير اللَّفْظِيَّة التي يستخدمها منتج الكلام، لا بدَّ للمُحَلِّلِ اللُّغَوِيّ أن يقوم بتقدير وجودهما؛ إذ لا معمول من غير عامل مؤثر فيه بالعمل، ولا عامل من غير معمول يعمل فيه. إذن تقرَّر أنَّ الأداءات المصاحبة للكلام أو الأنظمة العلاماتيَّة غير اللَّفْظِيَّة التي يستخدمها منتج الكلام هي دليل وقرينة على الجزء المحذوف من الكلام، فَلَيْسَتْ جزءًا منه، ومن ثَمَّ فلا تُمَثِّلُ عند النُّحَاةِ جُزْءًا مِمَّا يُطْلَقُ عَلَيهِ كَلامًا؛ إذ الكلامُ عند النَّحْوِيّينَ: "كُلُّ لَفْظٍ مُسْتَقِلّ بنفسه مفيدٍ لمعناه، وهو الذي يسمّيه النَّحْوِيُّونَ الجُمَلَ"[64]فالكلامُ عند النَّحْوِيّينَ مَحْصُورٌ في مفهوم مُحَدَّدٍ لا يَتَّسِعُ لِغَيْرِهِ خِلافًا للمصطلحات القريبة منه نحو: القولُ، فَكُلُّ كَلامٍ قَوْلٌ، ولَيْسَ كُلُّ قَوْلٍ كَلامًا، ومن مظاهر ضيق هذا المفهوم وتحديد مدلوله عند النَّحْوِيّينَ أَنَّ القَوْلَ قَدْ يُتَّسَعُ فِيهِ فَيُطْلَقُ عَلَى الكلامِ في مواضعَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُتَّسَعَ في الكلامِ، فَيُطْلَقَ عَلَى القَوْلِ، يَقُولُ ابن جِنّي: "وَسَبَبُ ذلك وعِلَّتُهُ عندي مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ سَعَةِ مَذَاهِبِ القَوْلِ وَضِيقِ مَذَاهِبِ الكَلامِ"[65]. **ومن الأسباب التي دَعَتِ النُّحَاةُ إلى الاعتدادِ بالجزء المحذوف أو المحذوف من الكلام رَغْمَ أَنَّ بلاغةَ الكلامِ تَقْتَضِي حَذْفَهُ - إضافة إلى نظرتهم للكلام من منظور إنتاج المتكلِّم (المرسِل) لا من منظورِ التَّلقي الذي يقومُ به المخاطَبُ- ما يلي:**

1- أنَّ المتكلِّمَ قد يَذْكُرُ هَذَا المحذوفَ في مقامٍ وسياقٍ آخَرَ يَسْتَدْعِي إِتْمَامَ الجُمْلَةِ، يَقُولُ ابنُ عصفورٍ: "والصَّحِيحُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ المرَكَّبِ تَقْدِيرًا، والأَصْلُ: نَعَمْ كَانَ ذَلِكَ، وَلا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، واخْتُصِرَ الكلامُ فَحُذِفَ، والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الأَصْلَ مَا ذُكِرَ أَنَّهم قد يُصَرِّحُون بذلك"[66].

2- نظريَّة العامل بمفهومها التقليدي الذي يتطلب أركانًا ثلاثة متلازمة الوجود هي: العامل والمعمول، وأثر العامل في المعمول، فإذا لم يوجد واحد منها أو لَمْ تُوجَدْ كُلُّهَا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ من تقديرِ مَا لا وُجُودَ لَهُ مِنْهَا.

ومنها أيضًا فكرة النُّحاة عن تكوين الجملة، هذه الفكرة القائمة على الإسناد، وتعتمد في الإسناد على ركنين أساسيين لا سبيل إلى إهمالِ أَيٍّ منهما، فإذا لم يوجد في الجملة وَاحِدٌ مِنْهُمَا تَعَيَّنَ عَلَى النُّحَاةِ تَقْدِيرُهُ[67].

3- انطلقَ النُّحاةُ في اعتدادهم باللَّفْظِ المستقلّ المفيدِ بالوَضْعِ فَائِدَةً يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَيْهَا فِي نَظْرَتِهِم لمفْهُومِ الكَلامِ، دُوْنَ غَيْرِهِ مِنْ وَسَائِلِ البَيَانِ مِنْ جِهَاتٍ عِدَّةٍ:

أ- **دينيَّة**: إذ الإنسانُ مخلوقٌ متكلِّمٌ، وفي ذلك فضيلةٌ خَصَّهُ بها اللهُ فَعَلَّمَهُ البيانَ بالكلام، وَعَلَّمَهُ الأسماءَ، وَجَعَلَ اختلافَ لُغَاتِهِ آيَةً مِنْ آياتِ خَلْقِهِ وَإِحْكَامِهِ فِعْلَهُ[68].

ب- **فلسفيَّة**: فالإنسان حيوانٌ ناطقٌ، والنُّطْقُ والكَلامُ فَصْلٌ ذَاتِيٌّ للإِنْسَانِ مِنَ الحَيَوَانِ، وذكر ابن عبدربه في هذا الباب أنَّ اللسانَ هو"الآلة التي يخرج بهاالإنسان عن حدِّ الاستبهام -يقصد عن حَدِّ البهيمة- إلى حدِّ الإنسانيَّة بالكلام، ولذلك قال صاحب المنطق: "حَدُّ الإنسان: الحَيُّ النَّاطِقُ"[69].

ج- **اجتماعيَّة**، يقول ابن سينا: "وَلَمَّا كانت الطبيعةُ الإنسانيَّةُ محتاجةً إلى المحاورة؛ لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة انبعثت إلى اختراع شيء يُتَوَصَّلُ به إلى ذلك، ولم يكن أخَفَّ من أن يكون فعلاً، ولم يكن أخفَّ من أن يكون بالتَّصويتِ، وخصوصًا والصَّوتُ لا يثبتُ ولا يَسْتَقِرُّ ولا يزدحمُ، فتكون فيه مع خِفَّته فائدة وجود الإعلام به مع فائدة انمحائه؛ إذ كان مستغنيًا عن الدلالة به بعد زوال الحاجة عنه، أو كان يُتَصَوَّرُ بدلالته بعده، فَمَالَتْ الطبيعةُ إلى استعمالِ الصَّوتِ، وَوُفِّقَتْ من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معًا، مِمَّا ليُدَلَّ بها على ما في النَّفس من أَثَرٍ"[70]. وقد تناولَ العلماءُ هذهِ المقوّمَاتِ الاجتماعيةَ للكلامِ في عددٍ من العلوم، "فقد خَاضَ النَّحويُّونَ في مسألةِ الخِفَّةِ، والثِّقَل في الكلامِ، كَمَا خَاضَ المتكلّمونَ، والنَّحويَّونَ، والأصوليُّونَ في مسائلِ الصَّوتِ وحقيقته، وَخَاضَ المتكلِّمون في مسألة عدم الصَّوت، وانتهى هؤلاء جميعهم إلى أنَّ الصَّوت المقصود بالإعلام، والإخبار، والإفهام في الكلام ليس مطلق الصَّوت، وإنَّمَا الصَّوتُ المتميَّزُ؛ ليُخْرِجُوا منه أصوات الطُّيُورِ، والرِّيَاحِ، وما إلى ذلك"[71]. وبذلك تلتقي نظرة النَّحْوِيّينَ في تأثير الأنظمة العلاماتيَّة غير اللَّفْظِيَّة ومنها لغة الجسد في مبنى التركيب ودلالته مع نظرة المدرسة التوليدية التحويلية التي تراعي البنى العميقة للجملة أثناء التحليل اللغوي للمُنْتَجِ اللُّغَوِيّ الذي يُنْتِجُهُ المتكلِّمُ، حيث تَمُرُّ الجُمْلَةُ المنْجَزَةُ بِواسِطَةِ استخدامِ الكَفَاءَةِ اللُّغَوِيَّةِ للمُتَكَلِّمِ بِعَمَلِيَّاتٍ مُتَدَاخِلَةٍ بَيْنَ التَّوْلِيدِ والتَّحْوِيلِ حَتَّى تَتَنَاسَقُ مَعَ مَا يَجُولُ فِي خَاطِرِ المتَكَلِّمِ فِي نَظْمٍ مُتَنَاسِقٍ وَمُتَمَاسِكٍ، **وعلى هذا فالخطاب يقتصر في مفهومه**

على الخطاب اللَّفْظِيّ فقط. بينما نظرت المدرسة البنيويَّة الوصفيَّة إلى المنْجَزِ اللُّغَوِيّ من منظور التَّلَقِّي، **والخطابُ هنا تَتَّسِعُ رقعته ومجالاتُه لتشمل كُلَّ مَا أَبَانَ وَأَفْهَمَ مِنَ: اللَّفْظِ، (الكلام المنطوق عبر تقطيع الأصوات وترتيبها على أقدار المعاني والمقامات)، والإشارةِ (حركات الجسد وإيماءاته) والخطِّ (الكتابة)، والعقدِ (الحساب)، والنَّصبةِ (مقام الحال)، وكُلُّ ما سبَقَ يمكن أن يشَكِّل مكوّنًا خطابيًّا له أصوله، وقواعده، وإسهاماته في تحصيل جزءٍ من المعنى الكُلِّي للخطاب، وقد تكونُ الخطابَ كُلَّهُ**. وهذا الاتجاهُ يلتقي مع نظرة بعض النحويين مثل: الرُّمَّانِيّ، وَبَعْضِ مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِم ابنُ عُصْفُورٍ هَذَا الرَّأْيَ، لَكِنَّهُم لم يكوّنوا الرَّأْيَ الأَقْوَى مقارنة برأي جمهور النحويين.

6- **لغة الجسد وصلتها بقضيَّة الحذف والتَّقْدِير بين الوصفيّين والتَّحويليّن العرب:**

تناول الباحثون العرب المحدثون قضيَّة الحذف والتَّقْدِير على اختلاف مناهجهم، فمنهم من اتَّبَعَ المنهجَ الوصفيَّ في دراسة هذه الظَّاهرة، ومنهم من اتَّبَعَ المنهجَ التَّحويليَّ، فاختلفت بذلك زاوية المعالجة، وتباينت وجهات النَّظرِ إلى القضيَّة لديه؛ **لذا** من الضروري أن نقف على آراء أساتذتنا وباحثينا الذين اتصلوا بِعِلْمِ اللُّغَةِ الوَصْفِيّ أو علْمِ اللُّغة التَّحويليّ، ثُمَّ طَبَّقُوا أُسَسَهُمَا، وَمَنَاهِجَهُمَا عَلَى الدَّرْسِ اللُّغَوِيّ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ، والدَّرْسِ النَّحْوِيّ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ. وَيَتَبَيَّنُ لَنَا مِنْ اسْتِعْرَاضِ **مَوْقِفِ الوصفِيّينَ مِنَ العَرَبِ** مِنْ قَضَايَا الحَذْفِ عِنْدَ القُدَمَاءِ أَنَّهُم قَدْ هَاجَمُوا هَذِهِ الظَّاهِرَةَ وَخَاصَّةً ذَلِكَ الذِي يَنْتُجُ عَنِ العَامِلِ النَّحْوِيّ، وَقَدْ اختلفت حِدَّةُ هذا الهجومِ: تمام حسان أراد أَنْ يَضَعَ نَظَرِيَّةً أُخْرَى تُغْنِي عَنْ نَظَرِيَّةِ العَامِلِ[72]، وكمال بشر بَيَّنَ مَوَاطِنَ الضَّعْفِ في الدَّرْسِ النَّحِوْيّ، وهي: الاتجاهات الفلسفية والمنطقية، والتَّأْوِيلُ والافْتِرَاضُ، والمِعْيَارِيَّةُ، و الاتِّجَاهُ الوَصْفِيُّ [73]، ومحمد حجازي اهْتَمَّ ببناء الجملةِ، وبناءِ الكلمة، والفَرْقِ بَيْنَهُمَا[74]، ومحمد عيد هَاجَمَ العَامِلَ أَيْضًا، وَرَأَى أَنَّهُ دَخِيلٌ عَلَى دراسةِ اللُّغَة[75]. وَمِمَّا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَيْضًا مِنْ خِلالِ دراسةِ مَوْقِفِهِم أَنَّهُم نَظَرُوا إلى اللُّغَة نَظْرَةً شَكْلِيَّةً جَامِدَةً حَتَّى إِنَّ تمام حسان لَمْ يَرَ غَضَاضَةً فِي إِعْرَابِ كَلامٍ لا مَعْنَى لَهُ اعتمادًا على المعنى الوَظِيْفِيّ، وَهُوَ "مجموعةٌ من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصَّةِ حَتَّى تكون صالحةً عند تركيبها؛ لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد، والتَّخْصِيصِ، والنِّسْبَةِ، والتَّبَعِيَّةِ، وَهَذِهِ العَلاقَاتُ في الحقيقة قَرَائِنُ مَعْنَوِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى مَعَانِي الأَبْوَابِ الخَاصَّةِ كالفَاعِلِيَّةِ، والمَفْعُولِيَّةِ"[76] ، ثُمَّ اشْتَرَطَ لذلك بَعْضَ الشُّرُوطِ[77].

ومن أوائلَ مَنْ كَتَبَ عن المنهجِ التَّحْوِيلِيّ عبده الراجحي، فَقَدْ تَحَدَّثَ عن القضايا والقواعد التحويلية والتقائها مع نظيرها العَرَبِيّ، فَعَقَدَ فَصْلاً عن "الجوانب التَّحْوِيلِيَّة في النَّحْوِ العَرَبِي "عَرَضَ فِيهِ لِمَا يَلِي:

1- قضيَّة الأصليَّة والفرعيَّة. 2- قضيَّة العامل.3- قواعد الحذف.4- قواعد الزيادة أو الإقحام.5- قواعد إعادة الترتيب[78].

ويهمنا الآن بيان موقفه من قضيَّة الحذف، وما يصاحبها من تقدير في النحو العربي، يقول عبده الراجحي: "إنَّ اللُّغَة هي أهمُّ الجوانب الحيوية في النشاط الإنساني، ليس من المعقول أن تكون لها هذه الأهميَّة ثم تتحوَّل إلى مجرد تراكيب شكليَّة يسعى الوصفيون إلى تجريدها من "المعنى "ومن "العقل "في هذا الوصف السَّطْحِيّ الذي صَوَّرَهُ دي سوسير أَوَّلَ هذا القرن. إنَّ دراسةَ اللُّغَة كَمَا يَرَاهَا تشومسكي لا يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَقَّفَ عندَ هَذَا المنْهَجِ الوَصْفِيّ؛ لأَنَّهُ لا يتجاوز حدودَ المادَّةِ المبَاشِرَةِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تُعِينَنَا الدِّرَاسَةُ اللُّغَوِيَّةُ عَلَى فهم الطبيعةِ البَشَرِيَّةِ"[79].وَلَمَّا كانت قضية الحذف وَمَا صَاحَبَهَا مِنْ تَقْدِيرٍ عِنْدَ النُّحَاةِ مرتبطةً بالعَمَلِ إِذْ أَنَّهَا مُرَتَّبَةٌ عَلَيهَا فَإِنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّ عبده الراجحي لَمْ يَرْفُضْ قَضِيَّةَ الحذفِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَى العَامِلِ نَفْسِهِ[80].

وبعد أَنِ بَيَّنَا موقفَ عبده الراجحي من قضيَّةِ الحذف، وَمَا يُصَاحِبُهَا مِنْ تَقْدِيرٍ عِنْدَ النُّحَاةِ نَوَدُّ أَنْ نَتَبَيَّنَ رَأْيَ بَاحِثٍ آخَرَ هُوَ داود عبده الذي كَانَ لَهُ رَأْيٌ مُعْتَدِلٌ في هذِهِ القَضِيَّةِ. وَقَبْلَ ذَلِكَ نَوَدُّ أَنْ نَتَعَرَّفَ على رَأْيِه في المنهجِ الوَصْفِيّ وَتَطْبِيقِهِ عَلَى الدَّرْسِ اللُّغَوِيّ عندَ العَرَبِ يَقُولُ: "أَصْبَحَ من الشَّائِعِ بين اللُّغَوِيّين العَرَبِ في العقدين الآخرين أن يثبتوا المنهجَ الوَصِفِيَّ في اللُّغَة، وَهُوَ رَدُّ فعلٍ للمَآخِذِ الكثيرةِ على المَنْهَجِ الفَلْسَفِيّ الذِي وُصِمَ بِهِ اللُّغَوِيُّون والنَّحْوِيُّونَ العَرَبُ القُدَامَى وَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ عَدَدًا مِنْ هَؤُلاءِ اللُّغَوِيّين المحْدَثِينَ قَدْ بَلَغَ في التَّعَصُّبِ للمَنْهَجِ الوَصْفِيّ حَدَّ التَّطَرُّفِ، فَكَانَ يُجَرِّدُ عِلْمَ اللُّغَة مِمَّا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى من أَجْلِهِ علمًا، ولعَلَّ هَذَا التَّطَرُّفَ مَبْنِيٌّ في الدَّرَجَةِ الأُولى عَلَى سُوْءِ فَهْمٍ للمَنْهَجِ الوَصْفِيّ فِي اللُّغَة"[81]، وَنَأْتِي إلى رأي داود عبده في قَضِيَّةِ الحَذْفِ وَمَا يُصَاحِبُهَا مِنْ تَقْدِيرٍ عِنْدَ النُّحَاةِ، فَنَرَاهُ يَقْبَلُ بِمَبْدَأِ الحَذْفِ والتَّقْدِيرِ فِي بَعْضِ الأَمْثِلَةِ، وَيَرْفُضُهُ فِي بَعْضِهَا الآخَرَ، فَمَا قَبِلَهُ مِنْهَا:

1- مَا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةٌ ولا بَيْضَاءَ شَحْمَةٌ.2- اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ.3- ادْرُسْ تَنْجَحْ.4- لا تُهْمِلْ تَنْجَحْ.5- كِتَابُ الأُسْتَاذِ الجَدِيدُ.6- جَاءَ الذِي وَصَلَ أَمْسِ.7- مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ.

وَيُعَلِّلُ داود عبده قَبُولَهُ لِمَا في تلكَ العباراتِ مِنْ تَقْدِيراتٍ بِعِدَّةِ تَعْلِيلاتٍ يُمْكِنُ إِجْمَالُهَا فِيمَا يَأْتِي:

1- النَّظَرُ إلى البِنْيَةِ العَمِيقَةِ، وعَدَم الأَخْذ بالظَّاهِرِ؛ فَتَقدِيرُ(كُلُّ) في العِبَارَةِ الأولى أَمْرٌ يُحَتِّمُهُ المعْنَى، فَتَقْدِيرُ العِبَارَةِ: "وَمَا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةٌ وَلا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٌ".

2- الحَذْفُ في بَعْضِ العِبَارَاتِ لِتَجَنُّبِ التِّكْرَارِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَأْلُوفٌ في اللُّغَاتِ، يَقُولُ: "تَقدِيرُ (أَنْتَ) في "اذْهَبْ إلى بَيْتِكَ "أَمْرٌ لَيْسَ مَقْبُولاً فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ ضَرُورِيٌّ؛ لأَنَّ تَرْكِيبَ هَذِهِ الجملَةِ اللُّغَوِيَّ لا يَسْتَقِيمُ دُوْنَهُ"[82].

3- التَّبْرِيرُ اللُّغَوِيُّ لِبَعْضِ التَّقْدِيرَاتِ، وَقَدْ عَبَّرَ داود عبده عن ذلك قائلاً: "كما أَنَّ تَقْدِيرَ (أَنْ) محذوفة بعد (حَتَّى) حِينَ تَسْبِقُ الفِعْلَ لَهُ مَا يُبَرِّرُهُ لُغَوِيًّا، فـ (حَتَّى) حَرْفُ جَرٍّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَحُرُوفُ الجَرِّ تَسْبِقُ الأَسْمَاءَ والضَّمَائِرَ، وَمَا يُعَادِلُ الاسْمَ لَيْسَ الفِعْلَ وَحْدَهُ، بَلِ الفِعْلُ مَسْبُوقًا بـ (أَنْ) المصْدَرِيَّة، أَيْ: المصْدَرُ المؤَوَّلُ، وَهَذَا واضحٌ مِنْ مُقَارَنَةِ عِبَارَةِ: بَعِدَ ذَهَابِه مثلاً بِعِبَارَةِ بَعْدَ أَنْ يَذْهَبَ، أَوْ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ"[83].

4- النَّظَرُ في التَّرْكِيبِ اللُّغَوِي الذِي قَدْ لا يَسْتَقِيمُ في بَعْضِ الأَحْيَانِ دُوْنَ رَدِّ المحْذُوفِ إلى الجُمْلَةِ فَأَصْل العِبَارَتَيْنِ:

ادْرُسْ تَنْجَحْ ، لا تُهْمِلْ تَنْجَحْ

هُوَ: ادْرُسْ إِنْ تَدْرُسْ تَنْجَحْ ، لا تُهْمِلْ إِلَّا تُهْمِلْ تَنْجَحْ

وداود عبده يُفَرِّقُ هُنَا بَيْنَ التَّقْدِيرِ الذِي غَايَتُهُ تَفْسِيرُ التَّرَاكِيبِ التِي خَرَجَتْ عَنْ أَنْمَاطِ اللُّغَة وَهُوَ التَّقْدِيرُ المقْبُولُ وَبَيْنَ التَّقْدِيرِ الذِي غَايَتُهُ تَبْرِيرُ حَرَكَاتِ أَوَاخِرِ الكَلِمَاتِ التي شَذَّتْ عَنْ قَوَاعِدِ النُّحَاةِ[84]، والوَاقِعُ أَنَّهُ لا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فَكِلاهُمَا يَصْدُرَانِ عَنْ نَظَرِيَّةِ العَامِلِ، وَمُرْتَبِطَانِ بالإِعْرَابِ، **وَيَظْهَرُ جَلِيًّا أَنَّ ثَمَّةَ تَشَابُهًا وَاضِحًا بَيْنَ مُعَالَجَةِ كُلٍّ مِنَ النُّحَاةِ القُدَمَاءِ والتَّحْوِيلِيِّينَ لِظَاهِرَةِ الحَذْفِ واعْتِبَارِهِمْ القَرَائِنَ الحَالِيَّةَ -وَمِنْهَا لُغَةُ الجَسَدِ- دَلائِلَ عَلَى المحذُوفِ مِنَ الكَلامِ، وَلَيْسَ نَمَطًا خَاصًّا مِنَ الكَلامِ، فَالكَلامُ لَفْظٌ، وَمَا كَانَ غَيْرَ لَفْظٍ فَلَيْسَ بِكَلامٍ.**

المبحث الثاني : لغة الجسد وأثرها في مبنى التركيب النّحوي ودلالته، الحذف عند سيبويه أنموذجًا:

تَجَسَّدَتِ العلاقة بين لغة الجسد، ومبنى التركيب النَّحوي ودلالته عند سيبويه في عِدَّةِ مَسَائِلَ نَحْوِيَّةٍ تَنَوَّعَتْ، فَتَنَوَّعَتْ أَضْرُبُهَا، ذلك أنَّ علاقةَ سياقِ الحالِ عِنْدَ سيبويهِ بالبِنَاءِ المنْجَزِ للتَّرْكِيبِ، وَتَسْوِيغَهُ حَذْفَ أَحَدِ عَنَاصِرِ الجُمْلَةِ مِمَّا كَثُرَتْ أَمْثِلَتُهُ عِنْدَهُ. والحَقُّ أَنَّ إِشَارَاتِ سيبويهِ الذَّكِيَّةَ والرَّائِدَةَ فِي هَذَا البَابِ تَجْعَلُهُ سَبَّاقًا لأحدث الاتجاهات اللُّغوية في زماننا، إذ لم تفته العناية بأثر الحركة الجسديَّة وعناصر الموقف المستمَدَّةِ مِنَ الحَوَاسِّ في بنية التَّرْكِيبِ وَدِلالَتِهِ، من حيث حَذْفِ أَحَدِ عَنَاصِرِ التَّرْكِيبِ استِنَادًا إلى تِلْكَ العَنَاصِرِ الحَالِيَّةِ. وَهُوَ مَا يَتَجَلَّى فِي **أَثَرِ الحَرَكَةِ الجَسَدِيَّةِ للمُتَكَلِّمِ وللمُخَاطَبِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ وَمَا فِي إِدْرَاكِ الحَوَاسِّ عَلَى التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ المنْجَزِ، ذلك الأثر الذي اتَّضَحَتْ مَلامِحُهُ عِنْدَ سيبويهِ، وَتَنَوَّعَتْ أَضْرُبُهُ وَذَلِكَ عَلَى ضَرْبَيْنِ:**

الضرب الأوَّل: الحكمُ بوجودِ محذوفٍ في التَّرْكِيبِ وتقديرِهِ:

أ- حَذْفُ الأسماءِ:

1- حَذْفُ المتكَلِّمِ المبتدأ اعتمَادًا عَلَى القرائنِ الحاليَّةِ المصَاحِبَةِ للكَلامِ، والمرتبطةِ بحاسَّةٍ مِنَ الحَوَاسِّ الخَمْسِ:

أَشَارَ سيبويهِ إلى مَا يَعْمَدُ إِلَيهِ المتَكَلِّمُ مِنْ حَذْفِ المبتَدَأِ اعْتِمَادًا عَلَى القَرَائِنِ الحاليَّةِ المصَاحِبَةِ للكَلامِ والمرتَبِطَةِ بحاسَّةٍ مِنَ الحَوَاسِّ الخَمْسِ، فيقول: "وَذَلِكَ أَنَّكَ رَأَيْتَ صُوْرَةَ شَخْصٍ فَصَارَ آيةً لَكَ عَلَى مَعْرِفَةِ الشَّخْصِ فَقُلْتَ: عَبْدُ اللهِ ورَبِّي، كَأَنَّكَ قُلْتَ: ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ، أَوْ هَذَا عَبْدُ اللهِ. أو سَمِعْتَ صَوتًا فَعَرَفْتَ صَاحِبَ الصَّوْتِ فَصَارَ آيةً لَكَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ فَقُلْتَ: زَيدٌ وَرَبِّي. أَوْ مَسَسْتَ جَسَدًا، أَوْ شَمَمْتَ ريحًا فَقُلْتَ: زَيْدٌ أَوِ المسكُ. أَوْ ذُقْتَ طَعَامًا فَقُلْتَ: العَسَلُ. وَلَوْ حُدِّثْتَ عَنْ شمائلِ رَجُلٍ فَصَارَ آيةً لَكَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ لَقُلْتَ: عَبْدُ اللهِ. كَأَنَّ رَجُلاً قَالَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ رَاحِمٍ للمَسَاكِينِ بَارٍّ بِوَالِدَيه، فَقُلْتَ: فُلانٌ وَاللهِ"[85]. فسيبويه في هذا الموضع يَتَحَدَّثُ عن المتَكلِّم المُعَبِّرِ عن نفسه دون التَّوَجُّهِ بكَلامِهِ هَذَا إلى مُخَاطَبٍ بِعَيْنِهِ، وَجَعَلَ مَا يُحيطُ بِهِ مِنْ عَنَاصِرَ مُسْتَمَدَّةٍ مِنَ الموقِفِ والمرتَبِطَةِ بِحَوَاسِّهِ الخَمْسَةِ – كالرُّؤْيَةِ والسَّمْعِ واللَّمْسِ والشَّمِّ والتَّذَوُّقِ – أو المرتَبِطَةِ بمعرفته للمُخَاطَبِ عَنْ طَرِيقِ سَابِقٍ تُحْدِثُ عِنْدَهُ دَلِيلاً عَلَى المبتدأِ المحْذُوفِ، وَتُصْبِحُ هَذِهِ الأَشْيَاءُ الوَاقِعَةُ في مجال خبرة الحواسّ أو المعرفة جزءًا مِنْ نَسِيجِ اللُّغَةِ، وَتَقُومُ مَقَامَ العَنَاصِرِ اللُّغَوِيَّةِ الخَالِصَةِ[86].

2- حَذْفُ المضَافِ وَإِقَامَةُ المضَافِ إِلَيهِ مَقَامَهُ:

يكتفي سيبويه في مثالٍ آخَرَ ببيان حال المتكَلِّمِ واستخدامِهِ حاسَّةً مِنْ حَوَاسِّهِ – وَهِيَ النَّظَرُ فِي الكِتَابِ – وَيُسَوِّغُ بِمُوجَبِهَا حَذْفَ المضَافِ وَإِقَامَةَ المضَافِ إِلَيهِ مَقَامَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: "وَتَقُولُ إِذَا نَظَرْتَ فِي الكِتَابِ: هَذَا عَمْرٌو، وَإِنَّمَا المعْنَى: هَذَا اسْمُ عَمْرٍو، وَهَذَا ذِكْرُ عَمْرٍو، وَنَحْوُ هَذَا، إِلَّا أَنَّ هَذَا يَجُوزُ عَلَى سِعَةِ الكَلامِ، كَمَا تَقُولُ: جَاءَتْ القَرْيَةُ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: هَذِه عَمْرٌو، أَي: هَذِهِ الكَلِمَةُ اسْمُ عَمْرٍو، كَمَا تَقُولُ: هَذِهِ أَلْفٌ، وَأَنْتَ تُرِيدُ: هَذِهِ الدَّرَاهِمُ أَلْفٌ"[87] . فَلَوْ نَظَرْتَ إِلى قَوْلِهِ: هَذَا عَمْرٌو، لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مَحْذُوفٌ لَوْلا مَا بَيَّنَهُ مِنْ حَالِ المتَكَلِّمِ واسْتِخْدَامِهِ حَاسَّةً مِنْ حَوَاسِّهِ – وَهِيَ النظر في الكتاب – ؛ لأَنَّهُ لو قال: هذا عمرو دون سياق الموقف السابق لكان مبتدأ وخبرًا ولكِنَّهُ لَمَّا قَالَ: إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابٍ، فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ المعْنَى المرَادَ: هَذَا الحَرْفُ المكْتُوبُ اسْمُ عَمْرٍو أَوْ ذِكْرُ عَمْرٍو. وَمِنْ ثَمَّ جَازَ كذلك قَوْلُهُ :هَذِهِ عَمْرٌو؛ لأَنَّهُ يَقْصِدُ الكَلِمَةَ التِي رَآهَا فِي الكِتَابِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: هَذِهِ الكلِمَةُ المكْتُوبَةُ اسْمُ عَمْرٍو.

3- حَذْفُ الصِّفَةِ وإبقاءُ الموصوفِ:

قال سيبويه:" وَتَقولُ: سِيْرَ عَلَيْهِ لَيْلٌ طَوِيلٌ وَسِيْرَ عَلَيْهِ نَهَارٌ طَوِيْلٌ، وَإِنْ لَمْ تَذْكُرِ الصِّفَةَ، وَأَرَدْتَ هَذَا المَعْنَى رَفَعْتَ إِلَّا أَنَّ الصِّفَةَ تُبَيِّنُ بِهَا مَعْنَى الرَّفْعِ، وَتُوَضِّحُهُ، وَإِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ عَلَى نَصْبِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ وَرَمَضَانَ"[88]. وَيقول ابن جني:" وقد حُذِفَت الصِّفَةُ، ودلَّتْ الحَالُ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ فِيْمَا حَكَاهُ صَاحِبُ الكِتَابِ مِنْ قَوْلِهِم : يَسِيرُ عَلَيْهِ لَيْلٌ، وَهُمْ يُرِيدُونَ: لَيْلٌ طَوِيلٌ، وَكَأَنَّ هَذَا إِنَّمَا حُذِفْتَ فيه الصِّفَةُ لِمَا دَلَّ من الحالِ عَلَى مَوضِعِهَا، وَذَلِكَ أَنَّكَ تُحِسُّ في كلام القائل لذلك من التَّطْوِيح، والتَّطْرِيح، والتَّفْخيم، والتَّعظيم ما يقوم مقام قوله: ليلٌ طويلٌ أو نحو ذلك"[89]. ثمَّ يقول: "وأنت تحسُّ ذلك من نفسك إذا تأمَّلْته، وذلك أَنَّك تكون في مدح إنسانٍ والثَّنَاء عليه فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد في قوَّة اللَّفْظِ بـ(والله) هذه الكلمة، وتَتَمَكَّنُ في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها، وعليها أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك، وكذلك تقولُ: سألناه فوجدناه إنسانًا! وتُمَكِّنُ الصوت بـ (إنسان)، وتُفَخِّمُهُ، فتَسْتَغْنِي بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك، وكذلك إن ذَمَمْتَهُ ووصفته بالضِّيق قلْتَ: سألناه وكان إنسانًا! وتزوي وجهك وتُقَطِّبُهُ، فيُغْنِي ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا"[90].

ب - حَذْفُ الفِعْلِ

1- النَّصْبُ على إضمارِ الفِعْلِ:

صَرَّح سيبويه بذلك في قوله: "وَمِمَّا يَنْتَصِبُ على إضمار الفعل المسْتَعْمَلِ إِظْهَارُهُ أَنْ **تَرَى الرَّجُلَ قد قَدِمَ من سفرٍ** فتقولَ: خَيْرَ مَقْدَمٍ أو يقولَ الرَّجُلُ: **رأيتُ فيما يرى النائمُ كذا وكذا، فتقولَ: خيرًا وما سَرَّ، وخيرًا لنا وشرًّا لعدوّنا**، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: خَيْرُ مَقْدَمٍ وَخَيْرٌ لَنَا وَشَرٌّ لعدوِّنَا، أَمَّا النَّصبُ فكأَنَّهُ بَنَاهُ عَلَى قَوْلِهِ: قَدِمْتُ، فَقَالَ: قَدِمْتَ خيرَ مَقْدَمٍ، **وإن لم يُسْمَعْ منه هذا اللَّفْظُ فإنَّ قدومَه ورؤيتَه إيَّاه بمنزلة قوله: قَدِمْتُ**"[91]، وَيُؤَكِّدُ هذا المعنى في موضع آخر فيقول: "وأمّا سُبْوُحًا قُدُّوسًا رَبَّ الملائكةِ والرُّوحِ فليس بمنزلة سُبحانَ اللهِ؛ لأنّ السُّبُّوحَ والقُدُّوسَ اسمٌ، ولكنَّه على قوله: أَذْكرُ سُبُّوحًا قُدُّوسًا، وذاك أنَّه **خَطَرَ** على باله، أو ذكَره ذاكرٌ فقال: سُبُّوحًا، أي: ذكرتَ سُبُّوحًا كما تقولُ: أهلَ ذاك إذا **سمعتَ** الرَّجُلَ ذَكَرَ الرَّجُلَ بثناءٍ أو بذمٍّ كأَنَّهُ قَالَ: ذَكَرْتَ أهلَ ذَاكَ؛ لأنَّه حيث جَرَى ذِكْرُ الرَّجُلِ في مَنْطِقِهِ صَارَ عنده بمنزلة قوله: أَذكُرُ فلانا أو ذكرتَ فلانا كما أنَّه حيثُ أَنْشَدَ، ثُمَّ قَالَ: صادِقًا صَارَ الإنشادُ عنده بمنزلة قَالَ، ثم قال: صادِقًا وأهلَ ذاك فحملَه على الفعل متابِعًا للقائل والذَّاكرِ، فكذلك سُبُّوحًا قُدّوسا كأَنَّ نفسه صارت بمنزلة الرَّجُلِ الذَّاكِرِ والمنشِدِ حَيْثُ خَطَرَ عَلَى بَالِهِ الذِّكْرُ، ثُمَّ قَالَ: سبُّوحًا قُدُّوسًا، أي: ذكرتَ سُبُّوحًا متابِعًا لها فيما ذكَرت وخطَر على بالها"[92]. وهكذا فمن الملاحظ أَنَّ حذف الفعل أو المبتدأ في التركيب مبنيٌّ على ما يدركه المتكَلِّمُ بحواسِّهِ من حال المخاطَبِ. ومن ذلك أيضًا عنده **النَّصْبُ في الأمثلة الآتية: مصاحبًا معانًا، هنيئًا مريئًا، مبرورًا مأجورًا، صادقًا واللهِ، متعرِّضًا لِعَنَنٍ لَمْ يَعْنِهِ، بيعَ المَلَطَى لا عهد، ولا عقد، غَضَبَ الخيلِ على اللجُمِ، والظِّبَاءَ على البقر، أَهْلَ ذَاكَ وأَهْلَهُ**، يقول سيبويه مفرِّقًا بين النَّصب في هذه الأمثلة والرَّفع، وكلاهما جائزان عنده: "فإذا نصبَ فعلى الفعل، وأمَّا الرَّفْعُ فَعَلَى أَنَّهُ مبتدأٌ أو مبنيٌّ على مبتدأٍ، ولم يُرِدْ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى الفِعْلِ، ولكنَّهُ قال: هذا خيرُ مَقْدَمٍ وهذا خيرٌ لنا وشرٌّ لعدوِّنا، وهذا خيرٌ وما سَرَّ، ومن ثَمَّ قالُوا: مصاحَبٌ مُعانٌ، ومبرورٌ مأجورٌ، كأَنَّهُ قَالَ: أنت مصاحَبٌ وأنت مبرورٌ، فإذا رفعتَ هذه الأشياءَ فالذي في نفسك مَا أَظْهَرْتَ، وإذا نصبت فالذي في نفسك غيرُ مَا أَظْهَرْتَ، وَهُوَ الفِعْلُ، والذي أَظْهَرْتَ الاسمُ وأما قولهم: راشدًا مهديًّا، فَإِنَّهُمْ أَضْمَرُوا: اذْهَبْ راشدًا مَهْدِيًّا، وَإِنْ شِئْتَ رَفَعْتَ كَمَا رَفَعْتَ مُصَاحَبٌ مُعَانٌ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ النَّصْبُ في كلامهم؛ لأنَّ (راشدًا مهديًّا) بمنزلة ما صار بدلاً من اللَّفْظِ بالفعلِ، كأَنَّهُ لَفَظَ بــ (رَشِدْتَ وهُدِيْتَ)، وسترى بيانَ ذَلْكَ إِنْ شَاءَ اللهُ، ومثلُه: هنِيْئًا مَرِيئًا، وَإِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ فَقُلْتَ: مَبْرُورًا مَأْجُورًا وَمُصَاحَبًا مُعَانًا، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ عَنِ العَرَبِ عِيْسَى وَيُونُسُ وَغَيْرُهُمَا كَأَنَّهُ قَالَ: رَجَعْتَ مَبْرُورًا، واذْهَبْ مُصَاحَبًا، ومِمَّا يَنْتَصِبُ أَيْضًا على إضمار الفعل المستعمَل إظهارُه قول العرب: حَدَّث فلانٌ بكذا، وكذا، فتقولُ: صادقًا واللهِ، أَوْ أُنْشِدُكَ شِعْرًا، فَتَقُولُ: صَادِقًا واللهِ، أَيْ: قَالَهُ

صَادِقًا؛ لأَنَّكَ **إِذَا أَنْشَدَكَ فَكَأَنَّهُ قَدْ قَالَ كَذَا**، وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا **أَنْ تَرَى رَجُلاً قَدْ أَوْقَعَ أَمْرًا أَوْ تَعَرَّضَ لَهُ**، فتقول: متعرِّضًا لعَنٍ لم يَعْنِه أي: دنا من هذا الأمر متعرِّضًا لعَنٍ لَمْ يَعْنِهِ، **وتَرَكَ ذكرَ الفعل لِمَا يَرى من الحال**، وَمِثْلُهُ: بَيْعَ المَلَطَى لا عَهْدَ، ولا عَقْدَ، **وذلك إنْ كنتَ في حالِ مُسَاوَمَةٍ وَحَالِ بَيْعٍ، فتَدَعُ أُبايِعُك استغناءً لِمَا فِيهِ مِنَ الحَالِ**.... وَمِنَ العَرَبِ مَنْ يَقُولُ: مُتَعَرِّضٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: صَادِقٌ واللهِ، وكلٌّ عربيٌّ، وَمِثْلُهُ غَضَبَ الخيلِ على اللُّجُم كَأَنَّهُ قَالَ: غَضِبْتَ أَوْ رَآهُ **غَضْبَانَ**، فَقَالَ: غَضَبَ الخيلِ فكأَنَّه بمنزلة قوله: غَضِبْتَ غَضَبَ الخَيْلِ عَلَى اللُّجُمِ، وَمِنَ العَرَبِ مَنْ يَرْفَعُ فَيَقُولُ: غَضَبُ الخَيْلِ عَلَى اللُّجُمِ، فَرَفَعَهُ كَمَا رَفَعَ بَعْضُهُم:" الظِّبَاءُ عَلَى البَقَرِ"، وَمِثْلُهُ أَنْ **تَسْمَعَ الرَّجُلَ ذَكَرَ رَجُلاً**، فَتَقُولُ: أَهْلَ ذَاكَ وَأَهْلَهُ أَيْ: ذَكَرْتَ أَهْلَهُ؛ لأَنَّكَ فِي ذِكْرِهِ تَحْمِلُهُ عَلَى المعْنَى، وَإِنْ شَاءَ رَفَعَ على هُوَ، وَنَصْبُهُ وَتَفْسِيرُهُ تَفْسِيرُ خَيْرَ مَقْدَمٍ"[93].

2- بيان ما جرى من الأمر والنَّهي على إضمار الفِعل المستعمَلِ إظهارُه:

قد يؤدِّي المتكلم عبارته بأقلِّ عَدَدٍ مِنَ الأَلْفَاظِ مستغنيًا عَمَّا لا يحتاجه مؤدِّيًا المعنى الذي يقصده بإيجاز في القول ورشاقةٍ في العبارة، ولا يَتَأَتَّى ذَلِكَ إِلَّا بقَرَائِنَ حَالِيَّةٍ أَوْ مَقَالِيَّةٍ مُغْنِيَةٍ عَنِ النُّطْقِ باللَّفْظِ، قَالَ ابن يعيش: "إِنَّ قرائنَ الأحوال قد تُغْنِي عَنِ اللَّفْظِ، وَذَلِكَ أَنَّ المرَادَ مِنَ اللَّفْظِ الدِّلالَةُ عَلَى المعْنَى فَإِذَا ظَهَرَ المعْنَى بقَرِينَةٍ حَالِيَّةٍ أَوْ غَيْرِهَا لَمْ يَحْتَجْ إلى اللَّفْظِ المطَابِقِ، فَإِنْ أُتِيَ باللَّفْظِ المطَابِقِ جَازَ، وَكَانَ كالتَّأْكِيدِ، وَإِنْ لَمْ يُؤْتَ بِهِ فَللاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ"[94]. ومن ذلك الاستغناءُ عن فعلِ المفعولِ به جوازًا لدَلالَةِ مُلابَسَاتِ المَوْقِفِ الكَلامِيِّ بَيْنَ المتكَلِّمِ والمخَاطَبِ؛ إذ يفترض سيبويه تقدير موقف الضرب سواء بالذكر والحديث أو بالفعل، وكلا الأمرين واقعان من المخاطَبِ، ويعبران عن استخدامه حَوَاسَّهُ وَجَوَارِحَهُ، يقول سيبويه:" فاعرفْ فيما ذكرتُ لك أنَّ الفِعْلَ يَجرى في الأسماءِ على ثلاثة مَجارٍ فِعْلٌ مُظْهَرٌ لا يَحْسُنُ إضمارُه، وفِعْلٌ مُضْمَرٌ مستعمَلٌ إظهارُه، وفِعْلٌ مُضمَرٌ متروكٌ إظهارُه، فأَمَّا الفعل الذي لا يَحْسُنُ إضمارُه فإنَّه أَنْ تَنْتَهِيَ إلى رجلٍ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِ ضَرْبٍ ولم يَخطُرْ بباله فَتَقُولَ: زيدًا، فلا بُدَّ له من أَنْ تَقُولَ لَهُ :اضْرِبْ زَيْدًا، وَتَقُولَ لَهُ: قَدْ ضَرَبْتَ زَيْدًا، أَوْ يَكُونَ مَوْضِعًا يَقْبُحُ أَنْ يُعَرَّى مِنَ الفِعْلِ نَحْوَ:(أَنْ) و(قَدْ) وما أَشْبَهَ ذَلْكَ، وَأَمَّا الموضعُ الذي يُضْمَرُ فيه وإظهارُه مستعمَلٌ فنحوُ قولك: زيدًا لِرَجُلٍ فِي ذِكْرِ ضَرْبٍ، تُرِيدُ: اضْرِبْ زَيْدًا، وأَمَّا الموضعُ لا يستعمَل فيه الفعلُ المتروكُ إظهاره فمِن الباب الذي ذُكِرَ فيه إيَّاك[95]، إلى الباب الذي آخِرُه ذِكْرُ مَرْحَبًا، وَأَهْلاً[96]، وسترى ذلك فيما يُستقبل إن شاءَ الله"[97]. وهو بذلك يعتمد في تحليله مُجْمَلَ التراكيب التي حُذِفَ فيها فعلُ المفعول به على القرائنِ المستَمَدَّةِ من الحواس أو الحركة الجسديَّة في بيان

ما جرى من الأمر والنَّهْي عَلَى إضمار الفعل المستعمل إظهارُهُ، إذا عَلِمَ المتَكَلِّمُ أَنَّ المخَاطَبَ مُسْتَغْنٍ عن لفظ الفعل بدلالة هذه القرائن عليه، يقول سيبويه: "وذلك قولك: زيدًا، وعمرًا ورأسَه، وذلك أنَّكَ رَأَيْتَ رَجُلاً يَضْرِبُ أَوْ يَشْتِمُ أَوْ يَقْتُلُ، فاكتفيتَ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ عَمَلِهِ أَنْ تَلْفُظَ لَهُ بِعَمَلِهِ، فقُلْتَ: زيدًا، أَيْ: أَوْقِعِ عَمَلَكَ بِزَيْدٍ. أَوْ رَأَيْتَ رَجُلاً يَقُولُ: أَضْرِبُ شَرَّ النَّاسِ، فَقُلْتَ: زَيْدًا، أَوْ رَأَيْتَ رَجُلاً يُحَدِّثُ حَدِيثًا فَقَطَعَهُ، فَقُلْتَ: حَدِيْثَكَ، أو قَدِمَ رجلٌ من سَفَرٍ، فقلت: حَدِيثَكَ. استَغْنَيْتَ عن الفِعْلِ بِعِلْمِهِ أَنَّهُ مُسْتَخْبَرٌ فَعَلَى هذا يَجُوزُ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ"[98]. فلقد استغنى برؤيته الرَّجُلَ الذى يضرب أو يشتم أو يقتل عن قوله: (اضربْ زيدًا) أو (اشتمْ زيدًا) أو (اقتلْ زيدًا)؛ لأنَّهُ اكتفى برؤيته لعمله عن ذكر الفعل. كما اكتفى بالرؤية العلمية – أو التى هي من باب تراسل الحواس. بمعنى سمعت – عن ذكر الفعل في نحو (اضربْ زيدًا) أو (هاتِ حديثك). قال الرُّمَّاني: "الذي يجوز في إضمار الفعل المأمور به أو المنهي عنه حذفُهُ إذا كانت الحال دالةً على المعنى، تقوم مقام اللَّفْظِ، وصارت خلفًا منه في إحضار المعنى للنفس، والإفهام به كالإفهام باللَّفْظِ المحذوف.... ولهذا جاز أن يُغَيِّرُوا الكلامَ عن حدِّه في الموضوع للاستغناء عنه بدلالة الحال فلا يُحْتَاجُ إلى التَّكَلُّمِ به على هذه الشَّرِيطَةِ، ويكون الحذفُ أَوْلَى من الذِّكْرِ؛ لأَنَّهُ أَقْرَبُ في إفهام المعنى، وَأَقَلُّ كُلْفَةً فِيمَا يُعْمَلُ من النُّطْقِ بِهِ"[99]. ويقول في موضع آخر: "إذا كانت الدِّلالَةُ بهذه المنزلة فَلَيْسَ عَلَى المتكَلِّمِ إلَّا أَنْ يُفْهِمَ المخَاطَبَ كَمَا لَيْسَ عَلَيهِ لَوْ أَتَمَّ الكَلامَ"[100]. ويستغني سيبويه بهذه القرائن أيضا عن الفعل المستعمل إظهارُهُ في غير الأمر والنَّهْي "وَذَلِكَ قَولُكَ، إِذَا رَأَيْتَ رجلاً مُتَوَجِّهًا وِجْهَةَ الحَاجِّ، قَاصِدًا في هَيْئَةِ الحَاجِّ، فَقُلْتَ: مَكَّةَ ورَبِّ الكعبةِ. حيث زَكِنْتَ أَنَّهُ يريدُ مَكَّةَ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: يُرِيدُ مَكَّةَ واللهِ. ويجوز أن تَقُولَ: مَكَّةَ واللهِ، على قولك: أَرَادَ مَكَّةَ واللهِ، كَأَنَّكَ أَخْبَرْتَ بهذه الصفة عنه أَنَّهُ كَانَ فيها أَمْسِ فَقُلْتَ: مَكَّةَ والله، أي: أَرَادَ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ... أَوْ رَأَيْتَ رَجُلاً يُسَدِّدُ سَهْمًا قِبَلَ القِرْطَاسِ، فَقُلْتَ: القِرْطَاسَ واللهِ، أَيْ: يُصِيبُ القِرْطَاسَ، وَإِذَا سَمِعْتَ وَقْعَ السَّهْمِ في القِرْطَاسِ قُلْتَ: القِرْطَاسَ واللهِ، أَيْ: أَصَابَ القِرْطَاسَ. ولو رَأَيْتَ ناسًا ينظرون الهِلالَ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ بَعِيدٌ، فَكَبَّرُوا لَقُلْتَ: الهِلالَ وربِّ الكعبة أَي: أبصروا الهلال. أَوْ رَأَيْتَ ضَرْبًا، فَقُلْتَ على وجه التفاؤل: عَبْدَ اللهِ، أي: يَقَعُ بعبدِ الله أو بعبدِ الله يكون. ومثل ذلك أَنْ تَرَى رَجُلاً يُرِيدُ أن يُوْقِعَ فعلاً، أو رَأَيْتَهُ في حالِ رَجُلٍ قَدْ أَوْقَعَ فعلاً، أو أَخْبَرْتَ عنه بفعلٍ، فتقولُ: زَيْدًا. تُرِيدُ: اضْرِبْ زَيْدًا، أَوْ أَتَضْرِبُ زَيْدًا. وَمِنْهُ أَنْ تَرَى الرَّجُلَ أَوْ تُخْبِرَ عنه أَنَّهُ قد أَتَى أَمْرًا قَدْ فَعَلَهُ، فَتَقُولُ: أَكُلَّ هَذَا بُخْلاً، أَيْ: أتفعلُ كُلَّ هذا بخلاً، وإِنْ شِئْتَ رَفَعْتَهُ فَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلَى الفِعْلِ، وَلَكِنَّكَ تَجْعَلُهُ عَلَى المبْتَدَأِ"[101]. فيدلُّ نصُّ سيبويه على أن الحذف يكون بمراعاة ملابسات الموقف بما تنطوي عليه من ملاحظة

الموقف الحركي وما فيه من استخدامٍ لحواسّ المُتَلَقّي وَجَوَارِحِهِ مِمَّا يُشَكِّلُ مَوْقِفًا مُتَكاملاً أمام مرأى من المتكلّم يستطيع أن يبني كلامه عليه فيكون مسوّغًا للمتكلم لصياغةِ نسقٍ تعبيريٍّ يوائم هذه الحالة فمثلاً رؤية رجلٍ يحمل متاع السفر في موسم الحج قاصدًا مكة، تُعَدُّ مَشْهَدًا يُوْحِي للمُتَكَلِّمِ بِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ يريد أداء مناسك الحج؛ لأنَّ هيأته تدلُّ على ذلك فَحَذَفَ المتكلّمُ ما كان مشاهدًا[102]. كما يَتَّضِحُ هَذَا الأَمْرُ في بقية الأمثلة؛ إذ يصفُ سيبويه ملابساتِ الموقفِ، وَيُجَسِّدُهَا أَمَامَ القارئ لِيَتَّضِحَ لَهُ مقصود المتكلم، فَيُقَرِّرَ أَنَّ جَمَاعَةً مَا يَتَرَقَّبُونَ الهلالَ، وبعيدًا عنهم يَقِفُ المتَكَلِّمُ، وهو عارفٌ بخبرِهِمْ، فإذا كبَّروا عرف المتكَلِّمُ أنَّهم قد أبصروا الهلالَ؛ لأنَّ التَّكْبِيرَ عندهم وعنده في هذا المقام علامةُ رُؤْيَةِ الهلالِ، وَيَتَّخِذُ المخاطَبُ موقفًا قريبًا من المتكلم، ناظرًا إلى الجماعة غير عالمٍ بخبرهم، فإذا قال: المتكلمُ: الهلالَ، فَهِمَ المخاطبُ أنَّ الجماعة أبصروا الهلال[103]. فعناصر سياق الموقف متمثلة في: الجماعة المراقبون للهلال، و المتكلم وموقعه البعيد عن الجماعة، ومعرفة المتكلم الضمنية بما اجتمعوا لأجله، والعادات الاجتماعية المتمثلة في تلازم التكبير ورؤية الهلال، والمخاطب وموقعه من المتكلم، و رؤية المخاطب أو معرفته بوجود الجماعة، و عدم معرفة المخاطَبِ لسبب اجتماعهم، و سماع المخاطب تكبير الجماعة[104]. كلُّ هذه المواقف التي عرضها سيبويه في هذا النص أجاز فيها أن يكتفي المتكلم بنطقِ كلمةٍ واحدةٍ في سياقات مختلفة وعدَّها كلامًا مقبولاً؛ لأنَّ الموقف الذي قيلت فيه كفيل بإيضاح المقصود، وسياق الموقف رابط أصيل بين المتكلم والمخاطَب في علاقة تواصليَّةٍ مُتَلائِمَةٍ. وَيَتَّضِحُ من هذه النُّصُوصِ بَيَانُ أَثَرِ حَاسَّةِ المتَكَلِّمِ وَمَا يُدْرِكُهُ بِوَاسِطَتِهَا مِنْ حَرَكَةِ جَسَدِ المخَاطَبِ، وَمَا يَقُومُ بِهِ عَلَى التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ، فَلُغَةُ الجَسَدِ مُشْتَرَكَةٌ هُنَا بَيْنَ المتَكَلِّمِ والمخَاطَبِ.

3- حَذْفُ الفعل في التحذير:

تحدَّث سيبويه عن هذه المسألة في باب ما جرى من الأمر والنَّهْي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره، إذا علمت أَنَّ المخَاطَبَ مُسْتَغْنٍ عَنْ لَفْظِكَ الفِعْلَ، قال:"وأَمَّا النَّهْيُ فإنَّه التحذيرُ كقولك: الأَسَدَ الأَسَدَ، والجِدارَ الجِدارَ، والصبيَّ الصبيَّ وإنّما نهيتَه أن يَقرَبَ الجِدارَ المَخُوفَ المائِلَ أو يَقربَ الأَسدَ أو يوطئ الصبيَّ، وإن شاء أَظْهَرَ في هذه الأشياء ما أَضْمر من الفعل فقال: اضربْ زيدًا، واشتمْ عَمْرًا، ولا توطِئ الصبيَّ، واحذَر الجدارَ، ولا تَقرب الأسدَ، ومنه أيضًا قوله: الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ، إنْ شاء قَالَ: خَلِّ الطريقَ، أو تَنَحَّ عن الطريق"[105]. فبناءً على هذا النَّصِّ يُمْكِنُ الإشَارَة إلى أَنَّ التحذيرَ أسلوبٌ يَعْمَدُ إليه المتكلم تنبيهًا للمخَاطَبِ

لاجتناب مخوف قد يقع به، فهو أسلوب خَاصٌّ بالمتَكَلِّمِ مُوَجَّهٌ إلى المخَاطَبِ، ويقع في صُوَرٍ عِدَّةٍ، وَهِيَ:

1- ضميرُ المخاطَبِ (إيَّا) مسندًا إلى مخاطبٍ، ويذكر معه المحذَّرُ منه الذي يكون معطوفًا، نحو: إيَّاكَ والأسدَ أو مجرورًا، نحو: إيَّاكَ من الأسدِ[106].

2- المحذر منه مضافًا إلى ضمير المحذَّر، ومعطوفًا عليه محذَّرٌ منه آخر.

3- ذكر المحذَّر منه فقط إمَّا مكرَّرًا، نحو: الأسدَ الأسَدَ، والجدارَ الجدارَ، والطريقَ الطريقَ، والصبيَّ الصبيَّ أو مفردًا نحو: الأسدَ، والجدارَ، والطريقَ، والصبيَّ[107].

ولمَّا كان الاسم منصوبًا في هذا النوع من التراكيب، فإنَّهُ لا بُدَّ له من ناصبٍ؛ ولذا لجأ النحاة إلى تقدير ناصبٍ ينتمي إلى طبيعة الموقف الذي نشأ هذا التركيب في ظلاله ولمَّا كان المقامُ والموقفُ موقفَ تَحْذِيرٍ، فَإِنَّ النُّحاة وعلى رأسهم سيبويه قدَّرُوا هذا الفعل بأنواع مختلفة من الأفعال كلُّها يؤدِّي معنى التحذير، ومن ذلك: نَحِّ وباعدْ، واتقِ، واحذر، يقول سيبويه:"هذا باب ما جرى منه على الأمر والتحذير، وذلك قولك إذا كنتَ تحذِّرُ: إيَّاكَ، كأَنَّك قُلْتَ إِيَّاكَ نَحِّ، وَإِيَّاكَ بَاعِدْ، وَإِيَّاكَ اتَّقِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَا، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ: نَفْسَكَ يَا فُلانُ، أي: اتّقِ نفسَك إلَّا أنَّ هذا لا يجوز فيه إظهارُ مَا أَضْمَرْتَ، وَلَكِنْ ذَكَرْتُهُ؛ لأُمَثِّلَ لك مالا يُظهَر إضمارُه"[108]. أمَّا حكم هذا الفعل من حيث الإظهار والإضمار ففيه تفصيل على النَّحْوِ الآتي:

1- عدم جواز إظهاره إذا كان التَّحْذِيرُ بـ (إيَّا) مفردًا أو مُكَرَّرًا أو معطوفًا عليه، وكذلك إن كان التَّحْذِيرُ بغير (إيَّا)، وكان المحذَّر منه مُكَرَّرًا أو معطوفًا[109]، غير أنَّ من النُّحاة مَنْ قَالَ بجوازِ إِظْهَارِهِ نَظَرًا إلى أَنَّ تكريرَ المفعولِ للتَّأْكِيدِ لا يُوجِبُ حَذْفَ العَامِلِ[110].

2- جواز إظهاره إذا كان التحذير بغير (إيَّا) والمحذَر منه مفردًا غير مكرَّر، إذ قال سيبويه:"فلو قُلْتَ: نَفْسَكَ أَوِ رَأْسَكَ أَوِ الجِدارَ كَانَ إظهارُ الفعل جائزًا نحو قَوْلِكَ: اتّقِ رأسَك، واحْفَظْ نَفْسَكَ، وَاتَّقِ الجِدَارَ"[111].

أمَّا عن سبب حذف فعل التحذير ووجوب عدم إظهاره في حال تكريره فيجيب سيبويه عن ذلك إجابة شافية بقوله:" **وإنَّما حَذَفُوا الفعْلَ في هذه الأشياء حين ثَنَّوْا؛ لكثرتها في كلامهم، واستغناءً بما يَرَوْنَ من الحال وبما جَرى من الذِّكْرِ، وصار المفعولُ الأوَّلُ بدلاً من اللَّفْظِ بالفعل**"[112]. أَمَّا الكثرة فلأنَّ هذا الأسلوب يعبّرُ عن موقف متكرّرٍ في حياتنا اليومية، فأصبح كالمثل في كثرته وجريانه، وأمَّا الاستغناء عن الفعل بِمَا يُرَى من الحَالِ

المشَاهَدَةِ فَهَذَا مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ إِذْ اسْتَغْنَى المتَكَلِّمُ بِمَا رَآه وَأَدْرَكَهُ بِحَواسِّهِ مِنَ المَوْقِفِ الحرَكِيّ الذي حَصَلَ أَمَامَهُ مِنْ حَرَكَةِ المخَاطَبِ وَسَيْرِهِ إلى أن اقْتَرَبَ مِنَ الأَسَدِ دُوْنَ أَنْ يَشْعُرَ بقربه منه قربًا يُشَكِّلُ عليه خطرًا، استغنى بهذا الموقف عن أن يذكر فعل التحذير؛ لأَنَّ الموقف والمقام يستدعي التَّحْذِيرَ بِأَقَلّ الأَلْفَاظِ لِيَتَمَكَّنَ المخَاطَبُ مِنَ التَّنَبُّهِ والتَّصَرُّفِ بشكلٍ عَاجِلٍ في مِثْلِ هَذَا المقَامِ، يَقُولُ الرُّمَّانِيُّ: "لأَنَّ التَّحْذِيرَ مِمَّا يُخَافُ مِنْهُ وُقُوعَ المخُوفِ، فَهُوَ مَوْضِعُ إِعْجَالٍ، لا يَحْتَمِلُ تَطْوِيلَ الكَلامِ، لِئَلاَّ يَقَعَ المخُوفُ بالمخَاطَبِ قَبْلَ تَمَامِ الكَلامِ"[113]، وَقَالَ الرَّضِيُّ: "لأَنَّ القَصْدَ أَنْ يَفْرَغَ المتَكَلِّمُ سَرِيعًا مِنْ لَفْظِ التَّحْذِيرِ حَتَّى يَأْخُذَ المخاطَبُ حِذْرَهُ مِنْ ذَلِكَ المحْذُورِ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ لا يَسْتَعْمِلُ هَذِه الأَلْفَاظَ إِلَّا إِذَا شَارَفَ المكْرُوهُ أَنْ يرهق"[114].

4- حَذْفُ عامل المفعول المطلق وجوبًا: تحدَّث سيبويه عن هذه المسألة في باب ما يَنتصب في الاستفهام من هذا الباب فقال: "وأمَّا مَا يَنتصبُ في الاستفهام من هذا الباب فقولُك: أَقِيامًا يا فلانُ، والنَّاسُ قعودٌ، وأَجُلوسًا والنَّاسُ يَعْدُونَ، لا يُريدُ أَنْ يُخْبِرَ أَنَّهُ يَجْلِسُ، ولا أَنَّهُ قَدْ جَلَسَ، وانقضى جلوسُه، وَلَكِنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّه في تلك الحال في جُلوسٍ، وفي قيامٍ"[115]. ويقول في الباب ذاته بعد بضعة أسطر: "وكذلك إِنْ أَخْبَرْتَ، وَلَمْ تَسْتَفْهِمْ تَقُولُ: سَيْرًا سيرًا عَنَيْتَ نَفْسَك أَوْ غَيْرَك، وَذَلِكَ **أَنَّك رَأَيْتَ رَجُلاً فِي حَالِ سَيْرٍ أَوْ كُنْتَ فِي حَالِ سَيْرٍ، أَوْ ذُكِرَ رَجُلٌ بِسَيْرٍ، أَوْ ذُكِرْتَ أَنْتَ بِسَيْرٍ، وجَرى كلامٌ يَحْسُنُ بِنَاءُ هَذَا عَلَيْهِ كَمَا حَسُنَ فِي الاسْتِفْهَامِ**؛ لأَنَّك إِنَّمَا تَقُولُ: أَطَرَبًا وأَسَيْرًا إذا **رَأَيْتَ ذَلِكَ مِنَ الحَالِ أَوْ ظَنَنْتَهُ فِيهِ**، وَعَلَى هَذَا يَجْرِي هَذَا البَابُ إِذَا كَانَ خَبَرًا أَوْ اسْتِفْهَامًا **إِذَا رَأَيْتَ رَجُلاً فِي حَالِ سَيْرٍ أَوْ ظَنَنْتَهُ فِيهِ فَأَثْبَتَّ ذَلِكَ لَهُ، وَكَذَلِكَ أَنْتَ فِي الاسْتِفْهَامِ** إِذَا قُلْتَ: أَأَنْتَ سَيْرًا؟، وَمَعْنَى هَذَا البَابِ **أَنَّه فِعْلٌ متّصِلٌ فِي حَالِ ذِكْرِكَ إِيَّاه اسْتَفْهَمْتَ أَوْ أَخْبَرْتَ، وَأَنَّكَ فِي حَالِ ذِكْرِكَ شَيْئًا مِنْ هَذَا البَابِ تَعْمَلُ فِي تَثْبِيتِهِ لَكَ أَوْ لِغَيْرِكَ**"[116]. فيَتَّضِحُ مِمَّا سبق أنَّ الكلام في حذف عامل المفعول المطلق وجوبًا مبنيٌّ على ملاحظة الحال المشاهدة بما فيها من موقف حركيّ، إمَّا للمتكلم أو للمخاطَب فاستغنى بتلك الحال المشاهدة عن ذكر العامل؛ فأصبح المفعول المطلق منصوبًا، وعامله مقدَّر وجوبًا؛ لأنه لا بد لكلّ منصوبٍ من ناصبٍ في نهاية الأمر. ومن ذلك أيضًا حذف عامل المفعول المطلق الذي قصد به التشبيه يقول سيبويه: "هذا باب ما يَنْتَصِبُ فيه المصدرُ المشبَّهُ به على إضمار الفعل المتروك إظهارُه، وذلك قولك: **مررتُ به فإذا له صَوْتٌ صَوْتَ حِمارٍ**، ومررتُ به فإذا له صُراخٌ صُراخَ الثَّكْلَى فإنَّما انتَصب هذا؛ لأنَّك **مررتَ به في حال تصويتٍ**، ولم تُرِدْ أَنْ تَجْعَلَ الآخِرَ صفةً للأوَّل ولا بدلاً منه، ولكنَّك لَمَّا قُلْتَ: له صوتٌ عُلم أنه **قد كان ثَمَّ عَمَلٌ**، فصار قولُك: له صوتٌ بمنزلة قولك: **فإذا هو يُصَوِّتُ**، فَحَمَلْتَ الثَّانيَ على المعنى"[117]. وفي هذا دليل على

اعتماد سيبويه على حَوَاسّ المتَكَلِّم، وَتَعْلِيلِهِ بِهَا حَذْفَ أَلْفَاظٍ اقْتَضَى القِيَاسُ اللُّغَوِيُّ أَنْ تُذْكَرَ في الكَلامِ، وكأنَّمَا أَحَسَّ بأَنَّ الأفكارَ لا تَتَنَاقَلُ بالألفاظِ فَحَسْبُ، بل قَدْ يُدْرِكُ السَّامِعُ مَا يُرِيدُ اللسانُ التَّعْبِيرَ عنه؛ لِذَا لا يَذْكُرُ المتَكَلِّمُ الأَلْفَاظَ التِي عَرَفَهَا المخَاطَبُ[118]. هذا في حال انتصاب المصْدَرِ المرادِ به التَّشْبِيهَ عَلَى هَذَا المعْنَى، أَمَّا إِذَا وَرَدَ مَرْفُوعًا، وَهَذَا جَائِزٌ فالمعْنَى مُخْتَلِفٌ، يَقُولُ سيبويه: "هَذَا بَابٌ يُخْتَارُ فِيهِ الرَّفْعُ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ لَهُ عِلْمٌ عِلْمُ الفُقَهاءِ وَلَهُ رَأْيٌ رأيُ الأُصَلاءِ، وَإِنَّما كَانَ الرَّفْعُ فِي هَذَا الوَجْهِ؛ **لأَنَّ هَذِهِ خِصالٌ تَذْكُرُهَا فِي الرَّجُلِ كالحِلْمِ والعَقْلِ والفَضْلِ، وَلَمْ تُرِدْ أَنْ تُخْبِرَ بِأَنَّكَ مَرَرْتَ بِرَجُلٍ فِي حَالِ تَعَلُّمٍ ولا تَفَهُّمٍ**، وَلَكِنّكَ أَرَدْتَ تَذَكُّرَ الرَّجُلِ بِفَضْلٍ فِيهِ وَأَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ خَصْلَةً قَدْ اسْتَكْمَلَهَا كَقَوْلِكَ: لَهُ حَسَبٌ حَسَبُ الصالحينَ؛ لأَنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ وَمَا يُشْبِهها صَارَتْ تَحْلِيَةً عندَ النَّاسِ وَعَلامَاتٍ، وَعَلَى هَذَا الوَجْهِ رُفِعَ الصَّوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ فَقُلْتَ: لَهُ عِلْمٌ عِلْمَ الفُقَهَاءِ كَأَنَّكَ **مَرَرْتَ بِهِ فِي حَالِ تَعَلُّمٍ وَتَفَقُّهٍ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَكْمِلِ أَنْ يُقَالَ لَهُ عَالِمٌ**،....وإِذَا قَالَ: لَهُ صَوْتٌ صَوْتَ حِمَارٍ فَإِنَّما أَخْبَرَ أَنَّهُ **مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُصَوِّتُ صَوْتَ حِمَارٍ**، وَإِذَا قَالَ: لَهُ عِلْمٌ عِلْمُ الفُقَهَاءِ فَهُوَ يُخْبِرُ عَمَّا قَدْ **اسْتَقَرَّ فِيهِ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ وَقَبْلَ سَمْعِهِ مِنْهُ أَوْ رَآهُ يَتَعَلَّمُ فَاسْتَدَلَّ بِحُسْنِ تَعَلُّمِهِ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ العِلْمِ**، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُخْبِرَ أَنَّهُ **إِنَّمَا بَدَأَ فِي عِلاجِ العِلْمِ فِي حَالِ لُقْيَاهُ إِيَّاهُ**؛ لأَنَّ هَذَا **لَيْسَ مِمَّا يُثْنَى بِهِ، وَإِنَّما الثَّنَاءَ فِي هذا الموضع أن يُخبِرَ بما استقرَّ فيه**، ولا يُخبِر أَنَّ أَمْثَلَ شيءٍ كان منه التعلُّمُ في حال لقائِه"[119].

5 - حَذْفُ عامل الحال:

أورد سيبويه هذه المسألة في باب ما يَنْتَصِبُ من الأسماء التي أُخِذَتْ مِنَ الأَفْعَالِ انْتِصَابَ الفعل اسْتَفْهَمْتَ أَوْ لَمْ تَسْتَفْهِمْ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: أَقَائِمًا وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ وأَقَاعِدًا، وَقَدْ سَارَ الرَّكْبُ، وكذلك إِنْ أَرَدْتَ هَذَا المعْنَى وَلَمْ تَسْتَفْهِمْ تَقُولُ: قَاعِدًا عَلِمَ اللهُ، وقد سار الرَّكْبُ، وَقَائِمًا قَدْ عَلِمَ اللهُ، وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ **رَأَى رَجُلاً فِي حَالِ قِيَامٍ أَوْ حَالِ قُعُودٍ، فَأَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَهُ فَكَأَنَّهُ لَفَظَ بقَوْلِهِ: أَتَقُومُ قَائِمًا، وَأَتَقْعُدُ قَاعِدًا، وَلَكِنَّهُ حَذَفَ اسْتِغْنَاءً بِمَا يَرَى مِنَ الحَالِ، وَصَارَ الاسْمُ بَدَلاً مِنَ اللَّفْظِ بالفِعْلِ، فَجَرَى مَجْرَى المصْدَرِ فِي هَذَا المَوْضِعِ**، وَمِثْلُ ذَلِكَ عَائِذًا باللهِ مِنْ شَرِّهَا، كَأَنَّهُ **رَأَى شَيْئًا يُتَّقَى، فَصَارَ عِنْدَ نَفْسِهِ فِي حَالِ اسْتِعَاذَةٍ حَتَّى صَارَ بِمَنْزِلَةِ الذِي رَآهُ فِي حَالِ قِيَامٍ وَقُعُودٍ؛ لأَنَّهُ يَرَى نَفْسَه فِي تِلْكَ الحَالِ**، فقال: عائذًا بالله، كأنّهُ قال: أعوذُ بالله عائذًا بالله، ولكنَّهُ حذف الفعل؛ **لأنَّه بدلٌ من قوله: أعوذُ بالله، فصار هذا يَجرى ها هنا مجرى عِياذًا بالله**، ومنهم من يقول: عائذٌ بالله من شرّ فلان، وإذا ذكرتَ شيئًا من هذا الباب فالفعل متّصِلٌ **في حال ذكرِك وأنت تَعمل في تثبيته لك أو لغيرك في حال ذكرِك إيَّاه**"[120]. ومِمَّا سَبَقَ تَتَّضِحُ **طبيعةُ الموقف الحركيّ المبْنِيّ عَلَى حَرَكَةِ الجَسَدِ** الذي

اسْتَقَرَّ فِي نَفْسِ المتَكَلِّمِ؛ سواء كان من المخاطَبِ أو من المتكلِّم أو من الحال التي تمثَّلها المتكلِّمُ في نفسه، فإنها تقوم مقام الحال المشاهدة في كونها من اليقين في نفس المتكلِّم، تتضح طبيعة كلِّ هذا، ومدى أثرها في بناء التركيب عليها من خلال حذف عامل الحال استغناء بما يرى من تلك الحال؛ لأنَّ المتكلِّم غرضه تثبيت تلك الحال لصاحبها وإقرارها في نفسه تمهيدًا لتوبيخه على بقائه على تلك الحال[121].

6- حَذْفُ عَامِلِ مَا جَرَى من الأسماء التي لم تُؤْخَذْ من الفِعْل مجرى الأسماءِ التي أُخِذَتْ مِنَ الفِعْلِ:

أوردَ سيبويهِ هَذِهِ المسْأَلَةَ فِي "بَابِ مَا جَرَى من الأسماء التي لم تؤخَذْ من الفِعل مجرى الأسماءِ التي أُخِذَتْ من الفعل، وذلك قولك: أَتَمِيمِيًّا مرَّةً وقَيْسِيًّا أُخْرَى، وإنَّما هذا أنَّكَ **رأيتَ رجلاً في حال تَلَوُّنٍ وتنقُّلٍ** فقلتَ: أتميميًّا مرَّةً وقيسيًّا أُخْرَى، **كَأَنَّكَ قُلْتَ**: أَتَحَوَّلُ تَمِيمِيًّا مَرَّةً وَقَيْسِيًّا أُخْرَى، **فَأَنْتَ في هذه الحال تَعمل في تثبيتِ هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تَلَوُّنٍ وتنقُّلٍ**، وليس يَسأله مسترشِدًا عن أمرٍ هو جاهلٌ به ليفهِّمَه إيَّاه ويُخبِرَه عنه، **ولكنَّهُ وبَّخَهُ بذلك**، وحدَّثنا بعضُ العرب أنَّ **رجلاً من بني أَسَدٍ قال يومَ جَبَلَةَ واستَقبله بَعِيرٌ أَعْوَرُ فتَطَيَّرَ منه، فَقَالَ: يا بني أسد أَعْوَرَ وذا نابٍ**، فَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسترشدهم ليُخبِروه عن عَوَرِه وصحَّته، **وَلَكِنَّهُ نَبَّهَهم، كَأَنَّهُ قَالَ: أَتَستقبلون أَعْوَرَ وذا ناب؟، فالاستقبالُ في حال تَنْبِيهِهِ إِيَّاهُم كَانَ وَاقِعًا كَمَا كَانَ التلوُّنُ والتنقُّلُ عندك ثابتينِ في الحال الأوَّل وأرادَ أن يثبّتَ لَهُم الأعورَ ليَحذروه**.....وإنْ أخبرتَ في هذا الباب على هذا الحدِّ نصبتَ أيضًا كما نصبتَ في حال الخبر الاسمَ الذي أُخِذَ من الفعل، وذلك قولك: تمَيميًّا قد عَلِمَ اللهُ مرَّةً، وَقَيْسِيًّا أُخرى، **فَلَمْ تُرِدْ أَنْ تُخْبِرَ القَوْمَ بأَمْرٍ قَدْ جَهِلُوهُ، وَلَكِنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَشْتِمَهُ بِذَلِكَ**"[122]. فالأمر عند سيبويه سواء في حال الاستفهام أو الإخبار؛ إذ المعنى الذي ينتصب على أساسه الاسم في الحالين واحد، وهو أمر ملحوظ بما تمَّ قبله من مشاهدة حال ذات طبيعةٍ حركيَّةٍ، فالمخاطب يتلوَّن في تصرفاته وحركاته وأعماله مابين هذا وذاك، فَمَرَّةً يَتَشَبَّهُ بالتَّمِيمِيِّينَ، وَمَرَّةً يَتَشَبَّهُ بالقَيْسِيِّينَ، وَأَصْبَحَ هَذَا كَأَنَّهُ مَضْرِبَ المثَلِ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ يَتَلَوَّنُ في تصرفاته وحركاته وأعماله، كما أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ بني أَسَدٍ لاحَظَ حَالَهُ لَمَّا رأى استقبال البعيرِ لَهُ، وَقَدْ تَطَيَّرَ منه، وهذه حال فيها حركة من المتكلِّم لا علاقة للمَخَاطَبِ بِهَا، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَبُوحَ بما استقرَّ في خاطره من التشاؤم والتَّطَيُّرِ، فَأَخْرَجَ الكلامَ مخاطبًا به أهله لِيُبَيِّنَ أنَّ ما اسْتَقَرَّ في نفسه هُوَ مَا يَسْتَقِرُّ في نفس أهله وقبيلته، وليحذرهم مِمَّا رآه؛ لأنَّ ما رآه يجلبُ التشاؤمَ والتَّطَيُّرَ[123].

ج -حَذْفُ الحُرُوفِ:

1- حَذْفُ الكَافِ من اسمِ الفِعْلِ "رُوَيْدَكَ":

أَجَازَ سيبويهِ حَذْفَ الكَافِ من اسم الفعل (رُوَيْدَكَ)، "استغناء بِعِلْمِ المخَاطَبِ أَنَّهُ لا يعني غيره"[124]، والمعروف أنَّ (الكاف) إِنَّما تَلْحَقُ (رُوَيْدًا) "لِتُبَيِّنَ المخَاطَبَ المخصوصَ؛ لأنَّ (رُوَيْدَ) تقع للواحد والجميع، والمذكر والأنثى، فإِنَّمَا أَدْخَلَ الكافَ حين خَافَ التباسَ مَنْ يَعْنِي. بِمَنْ لا يَعْنِي"[125] وهكذا التفت سيبويه إلى أنَّ لموقف الخطاب حالاتٍ مُتَبَاينَةٍ، وَتَنَبَّهَ إلى أَنَّ العبارة اللغوية تتباين على قدر ذلك. فإذا كُنْتَ تَسْتَمْهِلُ رَجُلاً على حدة رأيته يعالج شيئًا قُلْتَ: رُوَيْدًا، أمَّا إذا كُنْتَ تَسْتَمْهِلُ رَجُلاً في جَمَاعَةٍ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: رُوَيْدَكَ، وكذلك إذا كُنْتَ تَسْتَمْهِلُ امرأةً في جماعة فَإِنَّكَ تَقُولُ: رُوَيْدَكِ.. إلخ[126] . ثم يستطرد سيبويه، فيقول: "فَلَحَاقُ الكَافِ، كَقَوْلِكَ: يَا فُلانُ، للرَّجُلِ حَتَّى يُقْبِلَ عَلَيْكَ، وَتَرْكِهَا كَقَوْلِكَ للرَّجُلِ: أَنْتَ تَفْعَلُ، إِذَا كَانَ مُقْبِلاً عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ مُنْصِتًا لَكَ. فَتَرَكْتَ يَا فُلانُ، حِينَ قُلْتَ: أَنْتَ تَفْعَلُ؛ اسْتِغْنَاءً بِإِقْبَالِهِ عَلَيْكَ. وَقَدْ تَقُولُ أَيْضًا: رُوَيْدَكَ، لِمَنْ لا يُخَافُ أَنْ يَلْتَبِسَ بِسِوَاهُ، تَوْكِيدًا، كَمَا تَقُولُ للمُقْبِلِ عَلَيْكَ المنْصِتِ لَكَ: أَنْتَ تَفْعَلُ ذَاكَ يَا فُلانُ، تَوْكِيدًا"[127]. فلقد جعل سيبويه لغةَ جسدِ المخَاطَبِ وَمَا تُعَبِّرُ عنه من إقباله بوجهه على المتكلِّم وإنصاتِهِ إلى المتكلِّم مسوِّغًا لحذفِ الكاف من (رَوَيْدَكَ)؛ لأنَّ حَالَ المخَاطَبِ يُغْنِي عَنْ لحاقِ الضميرِ بِهِ، وَشَبَّهَهُ بِحَذْفِ حَرْفِ النِّدَاءِ اكتفاءً بإقبالِ المنَادَى على المتكلِّم فَيَقُولُ المتكَلِّمُ للمخَاطَبِ: (أَنْتَ تَفْعَلُ) وَيَسْتَغْنِي عَنْ قَوْلِهِ للمُخَاطَبِ: يَا فُلانُ. فَإِنْ عَلِمَ المخَاطَبُ أَنَّهُ المعنيُّ، لم يحتج المتكلم إلى الضمير، ولكنه قد يلحق الضمير مع علم المخاطب بأنه المقصود على سبيل التوكيد لا البيان والتخصيص، وَشَبَّهَهُ أيضًا بقولك للمقبل عليك المنصت لك: (أَنْتَ تَفْعَلُ يَا فُلانُ) تَوْكِيدًا، وبقولك: (أَرَأَيْتُكُ) تَوْكِيدًا[128].

2- حَذْفُ حَرْفِ النِّدَاءِ في قولك: (اللَّهُمَّ اغفرْ لَنَا أَيَّتُهَا العِصَابَةُ):

يمنعُ سيبويه دخولَ حَرْفِ النِّدَاءِ عَلَى قَوْلِكَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا أَيَّتُهَا العِصَابَةُ) إِذَا عَنَيْتُم أَنْفَسَكُم كَمَا لا تَدْخُلُ (يَا) عَلَى قَوْلِكَ: (أَنَا أَفْعَلُ كَذَا أَيُّهَا الرَّجُلُ) إِذَا عَنَيْتَ نَفْسَكَ؛ لأَنَّ (أَيُّ) هُنَا تَأْتِي للاخْتِصَاصِ لا للنِّدَاءِ؛ لأَنَّ المنَادَى مُخْتَصٌّ، فَهُمَا مشتركانِ في الاخْتِصَاصِ، فَاسْتُعِيرَ لَفْظُ أَحَدِهِمَا للآخَرِ مِنْ حَيْثُ شَارَكَهُ فِي الاخْتِصَاصِ، فَيَقُولُ:" وَأَرَدْتَ أَنْ تَخْتَصَّ ولا تُبْهِمَ، حِينَ قُلْتَ: أَيَّتُهَا العصابة وَأَيُّهَا الرَّجُلُ، أَرَادَ أن يؤكِّدَ؛ لأَنَّهُ قد اخْتَصَّ حين قَالَ: أَنَا، وَلَكِنَّهُ أَكَّدَ كما تقول للذي هو مقبلٌ عليكَ بوجهه مستمعٌ مُنْصِتٌ لَكَ: كَذَا كَانَ الأَمْرُ يَا أَبَا فُلان، تَوْكِيدًا. وَلا تَدْخُلُ (يَا) هَا هُنَا؛ لأَنَّكَ لَسْتَ تُنَبِّهُ غَيْرَكَ"[129]. ويقول عن حذف النداء في موضع آخر: "وَإِنَّمَا

فَعَلُوا هَذَا بالنِّدَاءِ لكَثْرَتِهِ فِي كَلامِهِم؛ ولأَنَّ أَوَّلَ الكلامِ أَبَدًا النِّدَاءُ، إِلَّا أَنْ تَدَعَهُ استغناءً بإقبالِ المخَاطَبِ عَلَيْكَ، فَهُوَ أَوَّلُ كُلِّ كَلامٍ لَكَ بِهِ تَعْطِفُ المُكَلَّمُ عَليكَ"[130]، ويقول أيضا: "وَإِنْ شِئْتَ حَذَفْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ – يَقْصِدُ حُروفَ النِّدَاءِ – استغناءً، كَقَوْلِكَ: حَارِ بن كعبٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ هُوَ مقبلٌ عَلَيْهِ بِحَضْرَتِهِ يُخَاطِبُهُ"[131] . فدلالة هذه النصوص واضحة على أَنَّ لغة جسد المخَاطَبِ من إنصاتٍ واستماعٍ أو إقبالٍ على المتكلِّم بوجهه تجعل من الجائز للمتكلم أن يَدَعَ حَرْفَ النداء، وَأَمَّا قَولُهُ:" ولأَنَّ أَوَّلَ الكَلامِ أَبَدًا النِّدَاءُ"، وَقَولُهُ:" فَهُوَ أَوَّلُ كُلِّ كَلامٍ لَكَ بِهِ تَعْطِفُ المُكَلَّمُ عَليكَ "فَمَعْنَى هَذَا أَنَّ المتَكَلِّمَ إِذَا تَكَلَّمَ فَلا بُدَّ لَهُ مِنْ مُخَاطَبٍ يُخَاطِبُهُ بِكَلامِهِ الذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: "يَا فُلان كَانَ مِنَ الأَمْرِ كَذَا وَكَذَا"[132]، فَلا يَنْفَكُّ المتَكَلِّمُ عَنْ احْتِيَاجِهِ إِلى مُخَاطَبٍ أَبَدًا.

الضرب الثاني: الأحكام المتعلقة بالحذف: هي أحكام انبنت على القول بوجود محذوف في الجملة وتقديره مراعاة لملابسات الموقف الكلاميّ، ومنها لغةُ الجسدِ، وَمَا تُدْرِكُهُ الحواسُّ.

1- عدمُ جَوازِ إِضْمَارِ فِعْلِ الغَائِبِ:

وهو حكمٌ أَطْلَقَهُ سيبويه لِيُبَيِّنَ مَدَى صِحَّةَ التَّرْكِيبِ مِنْ عَدَمِهِ اعتِمَادًا عَلَى وُجُودِ مُلابَسَاتٍ للمَوْقِفِ تَسْتَدْعِي فِعْلَ الأَمْرِ للمُخَاطَبِ، فَإِنْ خَاطَبْتَ إِنْسَانًا لَمْ يَكُنْ هُوَ المعْنِيَ بإِيْقَاعِ الحَدَثَ، لَمْ يَكُنْ لَكَ أَنْ تَبْنِيَ كَلامَكَ للمُخَاطَبِ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلِ الغَائِبِ، فَلا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تُضْمِرَ فِعْلَ الغَائِبِ؛ لأَنَّ الذِي يَتَحَكَّمُ فِي صِحَّةِ حَذْفِ الفِعْلْ هُوَ المخَاطَبُ وَمَا يَكُونُ عَلَيهِ مِنْ حَالٍ مُشَاهَدَةٍ أَوْ مَسْمُوعَةٍ أَوْ مَشْمُومَةٍ أَوْ مَلْمُوسَةٍ مِنْ قِبَلِ المتَكَلِّمِ، أَوْ مَا يَقُومُ بِهِ المخَاطَبُ مِنْ أَحْوَالٍ يُمَارِسُهَا بِوَاسِطَةِ اسْتِخْدَامِ حَوَاسِّهِ وَجَوَارِحِهِ وَتَكُونُ فِي مُحِيطِ إِدْرَاكِ المتَكَلِّمِ أَثْنَاءَ إِنْتَاجِهِ الكَلامَ فَيَبْنِي عَلَيْهَا تَرْكِيبَهُ. وَإِنْ كَانَ ثَمَّةَ مُخَاطَبٌ، وَأَرَدْتَ مِنْهُ أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ عَنَيْتَ بِكَلامِكَ أَنَّكَ قَدْ أَمَرْتَهُ بِفِعْلٍ مَا، فَلا يَجُوزُ أَنْ تُضْمِرَ أَيْضًا فِعْلَ الغَائِبِ بَلْ لا بُدَّ مِنَ التَّصْرِيحِ بِهِ؛ لأَنَّ حَذْفَهُ يُؤَدِّي إِلى الإِلْبَاسِ عَلَى المخَاطَبِ، فَرُبَّمَا ظَنَّ المخَاطَبُ أَنَّ المتَكَلِّمَ أَرَادَ أَنْ يُوَجِّهَ الخطابَ إليه، وَهُوَ لا يَقْصِدُه أَصْلاً. يقول سيبويه: "واعلم أنَّه لا يجوزُ أَنْ تَقُولَ: زيدٌ، وأنت تريدُ أن تقولَ: لِيُضْرَبْ زيدٌ أو لِيَضْرِبْ زيدٌ إذا كان فاعِلاً وَلا زيدًا، وَأَنْتَ تُرِيدُ لِيَضْرِبْ عَمْرٌو زَيْدًا، وَلا يَجُوزُ زَيْدٌ عَمْرًا إِذَا كُنْتَ لا تُخاطِبُ زَيْدًا إِذَا أَرَدْتَ لِيَضْرِبْ زَيْدٌ عَمْرًا، وَأَنْتَ تَخَاطِبُنِي، فَإِنَّما تُرِيدُ أَنْ أُبْلِغَه أَنَا عَنْكَ أَنَّكَ قَدْ أَمَرْتَهُ أَنْ يَضْرِبَ زَيْدٌ عَمْرًا، وَزَيْدٌ وَعَمْرٌو غَائِبَانِ فَلا يَكُونُ أَنْ تُضْمِرَ فِعْلَ الغائبِ، وكذلك لا يَجُوزُ: زَيْدًا، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ أُبْلِغَه أَنَا عَنْكَ أَنْ يَضْرِبَ زيدًا؛ لأَنَّكَ

إِذَا أَضْمَرْتَ فِعْلَ الغَائِبِ ظَنَّ السَّامِعُ الشَّاهِدُ إِذَا قُلْتَ: زَيْدًا أَنَّكَ تأْمُرُه هُوَ بِزَيْدٍ، فَكَرِهُوا الالْتِبَاسَ هُنَا كَكَرَاهِيَتِهِمْ فِيمَا لَمْ يُؤْخَذْ مِنَ الفِعْلِ، نَحْوَ قَوْلِكَ: عَلَيكَ أَنْ يَقُولُوا عَلَيْه زيدًا؛ لئلاَّ يشبَّهَ ما لم يؤخَذْ من أمثلة الفعل بالفعل، وكَرِهُوا هَذَا فِي الالْتِبَاسِ وَضَعُفَ حَيْثُ لَمْ يُخاطِبِ المأمورَ كَمَا كُرِهَ وضَعُفَ أن يشبَّهَ عَلَيْكَ و رُوَيْدَ بالفعل"[133]. **فلا يصحُّ من التراكيب إلَّا ما كانت فيه الرسالة واضحة من المتكلم للمخاطب، وكان المخاطب على علم بما يريد المتكلم إيصاله إليه، ويكون هذا أظهر ما يكون إذا كان بين المتكلم والمخاطَب حالة معلومة مشتركة قائمة على استخدام الحواسّ والجوارح، يبدؤها المخاطَب باستخدام جوارحه، ويدركها المتكلم بحواسّه. فإذا وُجِدَتْ هذه الحالُ حَسُنَ الإضمارُ، وبناء التركيب عليها، وإن لم تُوْجَدْ وَوَقَعَ الإلباسُ، فلا يَحْسُنُ الإضمارُ بل يجب الإظهارُ**[134].

2- **صِحَّةُ تَقْدِيرِ زَمَنِ الفِعْلِ المنَاسِبِ:**

لَمْ يَكْتَفِ سيبويهِ بِهَذِهِ القَرَائِنَ الحَالِيَّةِ المسْتَمَدَّةِ مِنَ الحَوَاسّ لِتَسْوِيغِ حَذْفِ الفِعْلِ فِي كُلّ المَوَاقِفِ السَّابِقَةِ، بَلْ اسْتَعَانَ بِهَا أَيْضًا فِي صِحَّةِ تَقْدِيرِ زَمَنِ الفِعْلِ المنَاسِبِ لِكُلّ حَالٍ عَلَى حِدَةٍ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلَ فِي هَيْئَةِ الحَاجّ قَدَّرَ الفعل المضَارِعَ، والمعنى: يُرِيدُ مَكَّةَ واللهِ،، وَلَمَّا رَآهُ عَلَى هَذِهِ الهَيْئَةِ بالأَمْسِ قَدَّرَ الفِعْلَ الماضِي، وَمَعْنَاهُ أَرَادَ مَكَّةَ واللهِ، وَكَذَلِكَ لَمَّا رَأَى رَجُلاً يُسَدِّدُ سَهْمًا قِبَلَ القِرْطَاسَ قَدَّرَ الفِعْلَ المضَارِعِ، وَكَأَنَّهُ قَالَ: يُصِيبُ القِرْطَاسَ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا سَمِعَ وَقْعَ السَّهْمِ فِي القِرْطَاسِ قَدَّرَ الماضِي، وَكَأَنَّهُ قَالَ: أَصَابَ القِرْطَاسَ. وَهُوَ كَذَلِكَ لَمَّا رَأَى رَجُلاً يَشْرَعُ فِي الفِعْلْ أَوْ أَوْقَعَ فِعْلاً أَوْ أَخْبَرَ عَنْهُ بِفِعْلٍ، جَعَلَ الفِعْلَ المضْمَرَ أَمْرًا أَوْ مُضَارِعًا فِي الاسْتِفْهَامِ، وَكَأَنَّهُ قَالَ: اضْرِبْ زَيْدًا، أَوْ أَتَضْرِبُ زَيْدًا؟.

3- **عَدَمُ جَوَازِ إِشَارَةِ المتَكَلِّمِ للمُخَاطَبِ إِلى نَفْسِهِ:**

هَذَا الحُكْمُ مَبْنِيٌّ عَلَى تَصَوُّرٍ مُسْبَقٍ، يَفْتَرِضُ وُجُودَ مبتدأٍ مَحْذُوفٍ قَبْلَ ضميرِ المخَاطَبِ، هَذَا التَّصَوُّرُ يُمْكِنُ أَنْ يُسَاقَ فِي شَكْلِ تَسَاؤُلٍ عَلَى النَّحْوِ الآتي: **الأصل في اسم الإشارة أن يكون لِمُشَارٍ إليه حسّيّ أو معنويّ على اختلاف درجات المشار إليه، ولمَّا كان المشار إليه الحسّيُّ يُشَارُ إليه بـ (هذا) ونحوه تقول: هذا زيدٌ شابًّا لطيفًا، فَلِمَ لا نقولُ: إنَّ ضمير المخاطَبِ هُنَا خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره: (هذا)؟**. يجيب سيبويه عن هذا التساؤل المفترض بأنَّ إقبال المخاطَبِ وحركته تجاه المتكلم وإنصاته قرينة حاليَّةٌ تؤدِّي إلى عدم جواز إشارة المتكلم للمخَاطَبِ إلى نفسه، فتقول: هذا أنت؛ لأَنَّكَ لا تحتاج إلى ذلك، وَإِنَّمَا تُشِيرُ لَهُ إِلَى غَيْرِهِ "أَلَا تَرَى أَنَّكَ لو أَشَرْتَ له إلى شَخْصِهِ فَقُلْتَ: هَذَا أَنْتَ، لَمْ يَسْتَقِمْ"[135]، فهو يَسْتَمِدُّ هَذَا

التعليل من تحليل موقف الإشارة، فقد لاحَظَ أَنَّهُ في كُلِّ خِطَابٍ جِهَاتٌ ثَلاثٌ: المتكَلِّمُ أَو المشِيرُ، والمشَارُ إليه، والمخَاطَبُ أَو المشَارُ لَهُ، ولاحظ سيبويه أَنَّ المخَاطَبَ جهةٌ لازِمَةٌ مِنْ هذهِ الجهاتِ، وَلَكِنَّهُ جهةٌ واحدةٌ، فَلا يَجُوزُ في حُكْمِ التَّحْلِيلِ الخَارِجِيّ للعِبَارَة أَنْ يَكُونَ المخَاطَبُ مُشَارًا إِلَيهِ وَمُشَارًا لَهُ في آنٍ مَعًا[136].

خاتمة البحث:

يمكن أن نوجز نتائج هذا البحث فيما يلي:

1- تندرج لغة الجسد ضمن ما يُسَمَّى اللُّغَة الجانبية أو الأداءات الخارجية المصاحبة للكلام. وتشمل: **الأداءات الصوتية**: مثل: الوقفات، والتنغيم، والتزمين، والإيقاع. **والأداءات غير الصوتية**: مثل: سياق الحال، والحركة الجسديَّة المصاحبة للكلام.

2- تندرج لغة الجسد بوصفها لغة جانبيَّة في مفهوم الكلام عند دي سوسير، والأداء أو اللُّغَة المجسَّدة عند نعوم تشومسكي، حيث الكلام بوصفه أداء أو سلوكًا لغويًّا بشريًّا ضربان: ضربٌ إنتاجيٌّ (produtive) أو كما كان يسمّيه القدماء أداء نشطًا أو فاعلاً (active)، وهو حين يُنْتِجُ الإِنْسَانَ اللُّغَة، أَيْ حِيْنَ يَكُونُ مُتَكَلِّمًا أَوْ كَاتِبًا وَضَرْبٌ استقباليٌّ (receptive) أو ما كان يسمَّى أداء سلبيًّا (passive) ، وَيَكَادُ الاهتمامُ العِلْمِيُّ أَنْ يَكُونَ مُنْصَبًّا عَلَى الضَّرْبِ الاسْتِقْبَالِيِّ لِلُغَةِ؛ لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ عَمَلِيَّاتٍ دَاخِلِيَّةٍ كَثِيرَةٍ. هذا الضربُ الإنتاجيُّ للكلامِ تتعدَّدُ وَسَائِلُهُ لَكِنَّهَا تَعُودُ في نهاية الأمر إلى لُغَةٍ صَائِتَةٍ تَعْنِي مجموعةً من الحروف المقطعية الملفوظة المؤتلفة في نسق تركيبي له خصائصه وسماته للدلالة على معنى تركيبي مفيد يعبّرُ عَمَّا يجول بخاطر المتكلِّم، ولغة صامتة تشمل: الخط، والإشارة وتشمل: الحركات الجسديَّة، وما تدركه الحواس من مواقف وأشياء وملابسات عدَّةٍ تكتنفُ الموقف الكلامي، والعقد، والنصبة (سياق الحال).

3- لغةُ الجَسَدِ ضَرْبٌ مِنَ اللُّغَة الجَانِبِيَّةِ المصَاحِبَةِ للكَلامِ، تَشْمَلُ فِي عُمُومِهَا: الحركاتِ الجَسَدِيَّةَ، وَمَا تُدْرِكُهُ الحَوَاسُّ، وَتَتَنَوَّعُ مَصَادِرُهَا فَمَرَّةً تَكُونُ مِنْ جَانِبِ المتَكَلِّمِ، وَمَرَّةً تَكُونُ مِنْ جَانِبِ المخَاطَبِ، وَمَرَّةً تَكُونُ حَالَةً مُشْتَرَكَةً عَبْرَ مَوْقِفٍ حَرَكِيٍّ يُمَثِّلُ مَشْهَدًا حَاضِرًا مُدْرَكًا بالحِسِّ.

وهذه اللُّغَة مَهْمَا تَنَوَّعَ مَصْدَرُهَا لَهَا أَثَرٌ فِي إِنْتَاجِ الكَلامِ مِنْ قِبَلِ المتَكَلِّمِ أَوْ تَلَقِّيهِ مِنْ قِبَلِ المخَاطَبِ، والمحَلِّلُ اللُّغَوِيُّ (النَّحْوِيُّ) مُرَاقِبٌ لِهَذِهِ العَمَلِيَّةِ لاسْتِكْنَاهِ المعَانِي البَاطِنَةِ واسْتِخْرَاجِهَا في مَبْنَى التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ الذِي يَدُورُ بَيْنَ المتَكَلِّمِ والمخَاطَبِ.

4-لغة الجسد دليلٌ على الجزء المحذوف من النِّظام اللُّغَوِيّ عند مقاربتها من منظور إنتاج الكلام؛ ذلك أنَّ اللُّغَةَ كما يقول ابن جني في باب القول على اللُّغَة، وما هي: "أَمَّا اللُّغَة فإِنَّها أَصوات يعبّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم". ولَمَّا كانت اللُّغَة في أصلِ وَضْعِهَا أصواتٌ يعبّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم، ولَمَّا كان الحذفُ من بنية الكلامِ للاستغناءِ عن المحذوف من أهمّ المظاهر التي يَتَجَلَّى فيها تَأْثِيرُ استعمالِ المتكلِّم للأنظمةِ العلاماتيَّةِ غيرِ اللَّفْظِيَّةِ -وَمِنْ بَيْنِهَا لُغَةُ الجَسَدِ- في مبنى التركيب ودلالته، كَانَ لابُدَّ للمحلِّل اللُّغَوِيّ أَنْ يُرَاقِبَ هَذَا التَّغْيِيرَ فِي بِنَاءِ التَّرْكِيبِ وَدِلالَتِهِ فَنَشَأَ مِنْ ذَلِكَ الحَذْفُ، والتَّقْدِيرُ فِي التَّرْكِيبِ.

5- من الأسباب التي دَعَتِ النُّحَاةُ إلى الاعتدادِ بالجزء المحذوف أو المحذوف من الكلام رَغْمَ أَنَّ بلاغةَ الكلامِ تَقْتَضِي حَذْفَهُ - إضافة إلى نظرتهم للكلام من منظور إنتاج المتكلِّم (المرسِل) لا من منظورِ التَّلقي الذي يقومُ به المخاطَبُ-:

أ- أنَّ المتكلِّمَ قد يَذْكُرُ هَذَا المحذوفَ في مقامٍ وسياقٍ آخَرَ يَسْتَدْعِي إِتْمَامَ الجُمْلَةِ.

ب- نظريَّة العامل بمفهومها التقليدي الذي يتطلب أركانًا ثلاثة متلازمة الوجود هي العامل والمعمول، وأثر العامل في المعمول، فإذا لم يوجد واحد منها أو لَمْ تُوجَدْ كُلُّهَا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ من تقديرِ مَا لا وُجُودَ لَهُ مِنْهَا. ويأتي تبعًا لهذه النَّظريَّةِ أيضًا فكرة النُّحاة عن تكوين الجملة، هذه الفكرة القائمة على الإسناد، وتعتمد في الإسناد على ركنين أساسيين لا سبيل إلى إهمالِ أَيٍّ منهما، فإذا لم يوجد في الجملة وَاحِدٌ مِنْهُمَا تَعَيَّنَ عَلَى النُّحَاةِ تَقْدِيرُهُ.

ج- انطلاقُ النُّحاةِ في اعتدادِهم باللَّفْظِ المستقلِّ المفيدِ بالوَضْعِ فَائِدَةً يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَيْهَا فِي نَظْرَتِهِم لمفْهُومِ الكَلامِ، وَذَلِكَ دُوْنَ غَيْرِهِ مِنْ وَسَائِلِ البَيَانِ مِنْ جِهَاتٍ عِدَّةٍ: دينيَّة، وفلسفيَّة، واجتماعيَّة بيَّنَها الباحث في موضعها من الدراسة.

6- تلتقي نظرة النَّحْوِيِّينَ في تأثير الأنظمة العلاماتيَّة غير اللَّفْظِيَّة-ومنها لغة الجسد في مبنى التركيب ودلالته- مع نظرة المدرسة التوليديَّة التحويليَّة التي تراعي البنى العميقة للجملة أثناء التحليل اللُّغَوِيّ للمُنْتَجِ اللُّغَوِيّ الذي يُنْتِجُهُ المتكلِّمُ. بينما نظرت المدرسة البنيويَّة الوصفيَّة إلى المنجز اللُّغَوِيّ من منظور التَّلَقِّي، والخطابُ هنا تَتَّسِعُ رقعته ومجالاتُه لتشمل كُلَّ مَا أَبَانَ وَأَفْهَمَ مِنَ: اللَّفْظِ، (الكلام المنطوق عبر تقطيع الأصوات وترتيبها على أقدار المعاني والمقامات)، والإشارةِ (حركات الجسد وإيماءاته) والخطِّ (الكتابة)، والعقدِ (الحساب)، والنَّصبةِ (مقام الحال)، وكُلَّ ما سبَقَ يمكن أن يشَكِّل مكوّنًا خطابيًّا له أصوله، وقواعده،

وإسهاماته في تحصيل جزءٍ من المعنى الكُلِّي للخطاب، وقد تكونُ الخطابَ كُلَّهُ. وهذا الاتجاهُ يلتقي مع نظرة بعض النحويين مثل: الرُّمَّانِيّ، وَبَعْضِ مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِم ابنُ عُصْفُورٍ هَذَا الرَّأْيَ، لَكِنَّهُم لم يكوِّنوا الرَّأْيَ الأَقْوَى مقارنة برأي جمهور النحويين.

7- تَجَسَّدَتِ العلاقة بين لغة الجسد، ومبنى التركيب النحوي ودلالته عند سيبويه في عدة مسائل نَحْوِيَة تَنَوَّعَتْ، فَتَنَوَّعَتْ أَضْرُبُهَا، عَلَى ضَرْبَيْن: **الضرب الأوَّل**: الحكم بوجود محذوف في التركيب وتقديره: انضوى على مسائل عدة من حذف الأسماء، والأفعال، والحروف. **والضرب الثَّاني**: الأحكام المتعلقة بالحذف: وهي أحكام انبنت على القول بوجود محذوف في الجملة وتقديره مراعاة لملابسات الموقف الكلامي ومنها لغةُ الجسدِ، وَمَا تُدْرِكُهُ الحواسُّ.

8- ظَهَرَ جَلِيًّا أَنَّ ثمَّةَ تشابهًا واضحًا بين معالجة كلٍّ من النُّحَاةِ القُدَمَاءِ والتَّحْوِيْلِيّينَ لظاهرة الحذف، وتكمن هذه المشابهة في اعتبارهم القرائن الحاليَّةَ-ومنها لغة الجسد- دلائل على المحذوف من الكلام، وليس نمطًا خاصًّا من الكلام، فالكلام لفظٌ، وما كان غير لفظ فليس بكلام.

المصادر والمراجع

1-أبحاث في فقه اللُّغَة العربية، داود؛ عبده، مكتبة لبنان، بيروت، 1973م.

2- أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته، علم الدين؛ فتحي ثابت، دراسة نصية من القرآن، رسالة دكتوراة من كلية الدراسات العربية والإسلامية، جامعة المنيا، 1994م.

3- الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، أبا عاصي؛ حمدان رضوان، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو، 2009م.

4- استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، الشهري؛ عبد الهادي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، 2000م.

5- أسرار البلاغة، الجرجاني؛ عبد القاهر أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (471)هـ تعليق الأستاذ: محمد عبد العزيز النجار ، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، 1977م. ، وطبعة أخرى، تحقيق: ريتر، مطبعة وزارة المعارف، إستانبول، 1979م.

6- الإشارات الجسديّة دراسة لغويّة لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، حسام الدين كريم زكي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1991م.

7- الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن (911ه)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة.ط1.

8- أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللُّغَة الحديث، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، 1978م.

9- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللُّغَة العربية (النظرية الألسنية)، زكريا؛ ميشال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1982م.

10-البرهان في وجوه البيان، ابن وهب؛ أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، مصر، 1969م.

11-البيان والتبيين، الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر (255ه)، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، 1405هـ

12-التفكير البلاغي، صمود؛ حمادي، منشورات الجامعة التونسية، ط1، 1981م.

13- التفكير اللِّسَانِيَ في الحضارة العربية، المسدي؛ عبد السلام، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981م.

14-توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، حسين؛ زعطوط، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب واللُّغَات، قسم اللُّغَة والأدب العربي، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد المجيد عيساني، 2012م-2013م.

15- جسد الإنسان وا لتعبيرات اللُّغَوِيّة دراسة دلاليّة، داود؛ محمد محمد، دار غريب، ط1، 2007م.

16- الحذف والتقدير في النحو العربي، أبو المكارم؛ علي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م.

17- حيّ بن يقظان، ابن طفيل؛ أبو بكر محمد بن عبد الله، تحليل ودراسة جميل صليبا وكامل عيّاد، مطبعة جامعة دمشق، 1962م.

18-الخصائص، ابن جني؛ أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1952م.

19- دراسات في علم اللُّغَة، القسم الثاني، بشر؛ كمال، دار المعارف، القاهرة، ط (2)، 1971م.

20- دراسات في علم اللُّغَة، المحجوب؛ فاطمة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م.

21- دلائل الإعجاز ، الجرجاني؛ عبد القاهر، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مكتبة المدني، مصر، القاهرة، 1984م.

22-دور الكلمة في اللُّغَة، أولمان؛ استيفن، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب ، مصر، 1986م.

23-الرؤية البيانية عند الجاحظ، إدريس بلمليح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1984م.

24- سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة، العوادي؛ أسعد خلف، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2011م.

25- شرح الإيضاح للفارسي، ابن عصفور، قطعة مخطوطة من الكتاب موجودة بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، برقم: (11703ف) ضمن مجموع غير معنون.

26- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري؛ جمال الدين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1960م.

27-شرح المفصل، ابن يعيش؛ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (643ه)، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

28- العقد الفريد، ابن عبد ربه؛ أحمد بن محمد، تحقيق: عبد المجيد الرحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1404ه، 1982م. وطبعة أخرى تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروتت، لبنان، ط1، 1383م.

29- فصول في علم اللُّغَة العام، دي سوسير؛ فرديناند، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985م.

30- فصول في علم اللُّغَة، الراجحي؛ عبده، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997م.

31-كتاب الحيوان، الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1416ه -1996م.

32- الكليات، الكفوي؛ أبو البقاء أيوب بن موسى، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2011م.

33-اللُّغَة العربية معناها ومبناها، حسان؛ تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.

34- لغة الجسد ودورها في الإبانة: تماذج من التراث اللُّغَوِيِّ والأدبي، عرار؛ مهدي أسعد، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 33، العدد (1)، 2006م.

35- لغة الجسد في التراث العربي، الجبر؛ خالد عبد الرؤوف، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والثلاثون 0(2)- جزيران، 2015م.

36- مدخل إلى علم اللُّغَة، حجازي؛ محمود فهمي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط. (2)، 1987م.

37-مراعاة المخاطب في النحو العربي، الخفاجي؛ بان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.

38- المرجعية التواصلية لمفهوم الكلام، يحياوي؛ رشيد، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، العدد 32، شوال 1433ه، سبتمبر 2012م.

39- المعرفة اللُّغَوِيّة: طبيعتها وأصولها واستخدامها، تشومسكي؛ نعوم، ترجمة: محمد فتيح، دار الفكر العرب، القاهرة، مصر، ط1، 1993م.

40- مفهوم الجملة عند سيبويه، الأسدي؛ حسن عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

41-المقتضب، المبرد؛ محمد بن يزيد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط2، 1399هـ - 1979م.

42- المقرب، ابن عصفور؛ علي بن مؤمن (669هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط1، 1971م.

43- المنطق من كتاب الشفاء، ابن سينا، الجزء الثالث، العبارة، تحقيق: محمود الخضري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1970م.

44- النحو العربي والدرس الحديث "بحث في المنهج"، الراجحي؛ عبده، دار النهضة، بيروت، 1979م.

45- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللُّغَوِيِّ الحديث، الموسى؛ نهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، سنة 1400- 1980م.

46- النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشنتمري؛ يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي (476هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط1، 1407- 1987م.

(1) الشهري؛ عبد الهادي، استراتيجيّات الخطاب؛ مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، 2000م، ص: 34.

(2) انظر: أبا عاصي؛ حمدان رضوان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو، 2009م، ص: 58.

(3) انظر: الراجحي؛ عبده، فصول في علم اللُّغَة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص:88. وأبا عاصي؛ حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 59.

(4) انظر: أبا عاصي؛ حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 59.

(5) انظر: أبا عاصي؛ حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 59.

(6) انظر: الراجحي؛ عبده، فصول في علم اللُّغَة، ص:89-92. وأبا عاصي، حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 59-60.

(7) انظر: الراجحي؛ عبده، فصول في علم اللُّغَة، ص: 92، وأبا عاصي، حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 60.

(8) فرّق العالم السويسري (دي سوسير) بين مصطلحات ثلاثة: اللُّغَة بمعناها العام بوصفها ظاهرة اجتماعيّة، واللُّغَة المعينة كالعربية والإنجليزية مثلاً.والكلام بوصفه نشاطًا عضليًا صوتيًا فرديًا. فاللُّغَة أنظمة من الرموز يستدعيها حدوث الكلام الفعلي، يشترك فيها المتكلم بصورة إيجابية بسبب

كونه منتجًا للكلام والمخاطَب بصورة سلبية بسبب كونه مستقبلاً ومتلقيًا. أمّا الكلام الذي هو القيام بعمليّة التكلّم، فيستدعي صورَ الكلمات والرُّموزَ الأخَر التي انْطَبَعَتْ في أذهانِ كُلِّ المتكلمين، ومن ثم يتم ترجمتها إلى أصوات فعْليّة واضحة المعنى، انظر: دي سوسير، فردينانند، فصول في علم اللُّغَة العام، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985م، ص: 38-39، وأبا عاصي، حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 60-61 . ويرى (استيفن أولمان) أنَّ اللُّغَةَ ثابتةٌ مستقرَّةٌ، والكلام عابرٌ سريعُ الزَّوَال، وأنَّ اللُّغَةَ تُفْرَضُ علينا من الخارج، في حين أنَّ الكلام نشاطٌ متعمدٌ مقصودٌ، فاللُّغَةُ اجتماعيةٌ، والكلامُ فرديّ، واللُّغَةُ نظامٌ من الرموز الصوتية المخزونة في أذهان أفراد الجماعة اللُّغَوِيَّة بينما الكلامُ نشاطٌ مُتَرْجِمٌ لهذه الرموز الموجودة بالقوّة إلى رموزٍ فعليةٍ حَقِيقِيّة. انظر:أولمان؛ استيفن، دور الكلمة في اللُّغَة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب ، مصر، 1986م، ص: 32-33، وأبا عاصي، حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 61.

(9) مـمَّن فرَّق بين مفهومي الكلام واللُّغَة مؤسس المدرسة التوليدية (نعوم تشومسكي) حيث أطْلَقَ على مفهوم اللُّغَة مصطلح الكفاية اللُّغَوِيَّة (competence)،وأطْلَقَ عَلَى مفهوم الكلام مصطلح الأداء (performance)، أمّا مصطلح الكفاءة اللُّغَوِيَّة، فيعني قدرة المتَكَلِّم عَلَى الجمع بَيْنَ الأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّة وَمَعَانِيهَا الضِّمْنِيَّة في نسقٍ وَثِيقٍ مَعَ قَوَاعِد لُغَتِه أوْ هُوَ مَعْرِفَةُ الإِنْسَانِ الضِّمْنِيّة بِقَوَاعِد لُغَتِه التي تَقُودُ عَمَلِيَّةَ التَّكَلُّم، انظر:زكريا؛ ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللُّغَة العربية (النظرية الألسنية) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1982م، ص: 33، وأبا عاصي، حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 61. أما مصطلح الأداء فيعني استعمالَ اللُّغَة في مواقفَ حَقِيقِيّة، فَهُوَ استعمالٌ آنِيٌ لِلُّغَة ضِمْنَ سِياقٍ معيّنٍ، ثُمَّ استبدل تشومسكي هذين المصطلحين بعد تطوير نظريته بخروج كتابه (المعرفةُ اللُّغَوِيَّةُ) عام 1986م، بمصطلح اللُّغَة المبنيَةَ داخليا (internalized) بديلاً للكفاية اللُّغَوِيَّة ومصطلح اللُّغَة المجَسَّدَة (externalized language) بديلاً للأَداء. حيثُ يَرى أنَّ النَّظَرِيَّةَ التَّوْلِيدِيَّةَ اهتَمَّتْ باللُّغَة المبنية داخليًا، وكيف يَتِمُّ ترجمتها عبر الأداءات المختلفة من قبل جماعة المتكلمين في مواقفَ معينة، وأنَّ المنهج الوَصْفِيَّ البَنِيَوِيَّ اهْتَمَّ بالأَداء، وَصَاغَ قَوَاعِدَهُ عَلَى أَسَاسِ هَذَا المَفْهُومِ بِغَضِّ النَّظَرِ عن اللُّغَة النِّظَامِيَّة أَوْ لُغَة العَقْلِ أو لُغَة الكَفَاءَة اللُّغَوِيَّة، انظر: تشومسكي؛ نعوم، المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة: محمد فتيح، دار الفكر العرب، القاهرة، مصر، ط1، 1993م، ص: 77-78، 80-82، وأبا عاصي؛ حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 61-62.

(10)انظر: الراجحي؛ عبده، فصول في علم اللُّغَة، ص:162، وأبا عاصي، حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص:62.

(11) يرى بعض الباحثين أنَّ الرسالة التي يودُّ الإنسان تبليغها لغيره ينقسم تأثيرها وتتوزَّع فحواها في ثلاثة أقسام أساسية هي ما يخرج من المجرى الصائت ونسبته 7%، وما يطرأ على هذا المجرى من تنغيم، ونبر، وتلوّنات، وتداخلات صوتية، ونسبته 18%، وتبقى النسبة الكبرى البالغة لمَا يخرج من المجرى الصامت للرسالة، ويَرى بعضهم في مثل توزيع هذه الأقسام الثلاثة رَأْيًا قريبًا، فنسبة الكلام في المحادثة المباشرة تستغرق35% من الرسالة، أمّا النِّسبة الكبرى فتتعيّن بالأداءات المصاحبة للكلام نفسه، أي: بالحركات والإيماءات، وتبلغ نسبتها من الرسالة 65%، انظر: عرار؛ مهدي أسعد، لغة الجسد ودورها في الإبانة: نماذج من التراث اللغوي والأدبي، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 33، العدد (1)، 2006م، ص: 107، والجبر؛ خالد عبد الرؤوف، لغة الجسد في التراث العربي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والثلاثون 0(2)- جزيران، 2015م ، ص: 19.

(12) فمـمَّا كان مصدره المتكلّم ما يعمد إليه المتكلّمُ من حذف المبتدأ اعتمادًا على القرائن الحالية المصاحبة للكلام والمرتبطة بحاسة من الحواس الخمس، يقول سيبويه: "وذَلِكَ أنَّك رَأَيْتَ صُورَةَ شَخْص فَصَارَ آيةً لَكَ عَلَى مَعْرِفَةِ الشَّخْص فَقُلْتَ: عَبْدُ الله ورَبِّي، كَأَنَّكَ قُلْتَ: ذَلِكَ عَبْدُ الله، أوْ هَذَا عَبْدُ الله. أو سَمِعْتَ صَوتًا فَعَرَفْتَ صَاحِبَ الصَّوْت فَصَارَ آيةً لَكَ عَلَى مَعْرِفَتِه فَقُلْتَ: زَيدٌ وَرَبِّي. أوْ مَسَسْتَ جَسَدًا، أوْ شَمَمْتَ رِيحًا فَقُلْتَ: زَيْدٌ أو المِسكُ. أوْ ذُقْتَ طَعَامًا فَقُلْتَ: العَسَلُ. ولَوْ حُدِّثْتَ عَنْ شمائلِ رَجُلٍ فَصَارَ آيةً لَكَ عَلَى مَعْرِفَتِه لَقُلْتَ: عَبْدُ الله. كَأَنَّ رَجُلاً قَالَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ رَاحِمٍ للمَسَاكِينِ بَارٍ بِوَالِدَيه، فَقُلْتَ: فُلانٌ وَالله"، سيبويه؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: 180هـ، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، 2: 130. ومـمَّا كَانَ مَصْدَرَهُ المخَاطَبُ مَا أَجَازَهُ سيبويه نَحْوَ حَذْف الكَاف من اسم الفعل (رُوَيْدَكَ)، "استغناء بِعِلْمِ المخَاطَبِ أَنَّهُ لا يعني غيره"، سيبويه، الكتاب، 1: 244. والمعروف أنَّ (الكاف) إنَّما تَلْحَقُ (رُوَيْدًا) "لتُبَيِّنَ المخَاطَبَ المخصوص؛ لأنَّ (رُوَيْدَ) تقع للواحد والجميع، والمذكر والأنثى، فإنَّمَا أُدْخِلَ الكافَ حين خَافَ التباسَ مَنْ يَعْنِي. بِمَنْ لا يَعْنِي" سيبويه، الكتاب، 1: 244. وهكذا التفت سيبويه إلى أنَّ لموقف الخطاب حالات مُتَبَايِنَة، وَتَنَبَهَ إلى أنَّ العبارة اللغوية تتباين على قدر ذلك. فإذا كُنْتَ تَسْتَمْهِلُ رَجُلاً على حدة رأيته يعالج شيئًا قُلْتَ: رُوَيْدًا، أمّا إذا كُنْتَ تَسْتَمْهِلُ رَجُلاً في جَمَاعَة، فَإِنَّكَ تَقُولُ: رُوَيْدَكَ، وكذلك إذا كُنْتَ تَسْتَمْهِلُ امرأةً في جماعة فَإِنَّكَ تَقُولُ: رُوَيْدَكِ.. إلخ، انظر: الموسى؛ نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، سنة 1400-1980م، ص: 95. هذا، ويستطرد سيبويه فيقول: "فَلَحَاقُ الكَاف، كَقَوْلِك: يَا فُلانُ للرجُل حَتَّى يُقْبِلَ عَلَيكَ، وَتَرْكِهَا كَقَوْلِك للرَّجُل: أنْتَ تَفْعَلُ، إذَا كَانَ مُقْبِلاً عَلَيكَ بِوَجْهِه مُنْصِتًا لَكَ. فَتَرَكْتَ يَا فُلانُ، حِينَ قُلْتَ: أَنْتَ تَفْعَلُ؛ اسْتِغْنَاءَ بِإِقْبَالِه عَلَيكَ. وَقَدْ تَقُولُ أيْضًا: رُوَيْدَكَ، لِمَنْ لا يُخَافُ أنْ يَلْتَبِسَ بِسِوَاهُ، تَوْكِيدًا، كَمَا تَقُولُ للمُقْبِلِ عَلَيكَ المُنْصِت لَكَ: أنْتَ تَفْعَلُ ذَاكَ يَا فُلانُ، تَوْكِيدًا"، سيبويه، الكتاب، 1: 244. فلقد جعل سيبويه لغةَ جسد المخَاطَبِ وَمَا تُعَبِّرُ عنه من إقباله بوجهه على المتكلّم وإنصاته إلى المتكلّم مسوغًا لحذف الكاف من (رُوَيْدَكَ)؛ لأنَّ حَالَ المخَاطَبِ يُغْنِي عَنْ لحاق الضمير بِه، وَشَبَهُهُ بِحَذْف حَرْف النِّدَاء اكتفاءً بإقبال المنَادَى على المتكلّم فَيَقُولُ المتكلّمُ للمخَاطَب: (أَنْتَ تَفْعَلُ) وَيَسْتَغْنِي عَنْ قَوْلِه للمُخَاطَبِ: يَا فُلانُ. ومـمَّا كان لغةً مشتركةً بين المتكلّم والمخَاطَبِ ما أجازه سيبويه من حذف الفعْلِ المستعمل إظهاره في غير الأمر والنَّهْي "وَذَلِكَ قَوْلُكَ، إذَا رَأَيْتَ رجلاً مُتَوَجِّهًا وِجْهَةَ الحَاجِ، قَاصِدًا في هَيئَة الحَاجِ، فَقُلْتَ: مَكَّةَ وَرَبِّ الكعبة. حيث رَكَنْتَ أَنَّهُ يريدُ مَكَّةَ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: يُرِيدُ مَكَّةَ والله. ويجوز أن تَقُولَ: مَكَّةَ والله، على قولك: أرَادَ مَكَّةَ والله، كَأَنَّكَ أخْبَرْتَ بهذه الصفة عنه أنَّهُ كَانَ فيها أَمْس فَقُلْتَ: مَكَّةَ والله، أي: أرَادَ مَكَّةَ إذْ ذَاكَ... أوْ رَأَيْتَ رَجُلاً يُسَدِّدُ سَهْمًا قِبَلَ القِرْطَاس، فَقُلْتَ: القِرْطَاسَ والله، أيْ: يُصِيبُ القِرْطَاسَ، وَإِذَا سَمِعْتَ وَقْعَ السَّهْمِ في القِرْطَاس قُلْتَ: القِرْطَاسَ والله، أيْ: أَصَابَ القِرْطَاسَ. ولو رَأَيْتَ ناسًا ينظرون الهِلالَ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ بَعِيدٌ، فَكَبَّرُوا لَقُلْتَ: الهِلالَ وربَ الكعبة أي: أبصروا الهلال. أوْ رَأَيْتَ ضَرْبًا، فَقُلْتَ على وجه التفاؤل: عَبدَ الله أي: يَقَعُ بعبد الله أو بعبد الله يكون. ومثل ذلك أنْ تَرَى رَجُلاً يريد أن يُوقِعَ فعلاً، أو رَأَيْتَهُ في حالِ رَجُلٍ قَدْ أوْقَعَ فعلاً، أو أخْبَرَتْ

عنه بفعل، فتقولُ: زَيْدًا. تُريدُ: اضْرِبْ زَيْدًا، أوْ أتَضْرِبُ زَيْدًا. وَمِنْهُ أنْ تَرَى الرَّجُلَ أوْ تُخْبَرَ عنه أنه قد أتَى أمْرًا قَدْ فَعَلَهُ فَتَقُولُ: أكُلَّ هَذَا بُخْلاً، أيْ: أتفعلُ كُلَّ هذا بخلاً، وَإنْ شِئْتَ رَفَعْتَهُ فَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلَى الفعْلِ، وَلَكِنَّكَ تَجْعَلُهُ عَلَى المبْتَدَأ"، سيبويه، االكتاب، 1: 257 – 258. كلُّ هذه المواقف التي عرضها سيبويه في هذا النص أجَازَ فيهَا أنْ يَكْتَفِيَ المتكلِّمُ بنطقِ كلمة واحدة في سياقات مختلفة، وَعَدَّهَا كلامًا مقبولاً؛لأنَّ الموقف الذي قيلت فيه كفيلٌ بإيضاح المقصود، وسياق الموقف رابطٌ أصيلٌ بين المتكلم والمخاطَب في علاقة تواصلية متلاَئمة، انظر: العوادي؛ أسعد خلف، سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2011م، ص: 144. ويَتَّضحُ من هذه النصوص بيان أثر حاسّة المتكلِّم وَمَا يُدْرِكُهُ بواسطتها من حركة جسد المخاطب وما يَقُومُ به على التركيب النَّحْوِيّ، فلغة الجسد مشتركة هنا بين المتكلم والمخاطب.

(13)يَقُولُ الجَاحِظُ: "البَيَانُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ شَيْءٍ كَشَفَ لَكَ قِنَاعَ المعْنَى، وَهَتَكَ الحِجَابَ دُوْنَ الضَّمِيرِ حَتَّى يُفْضِيَ السَّامِعُ إلى حَقِيقَتِه، وَيَهْجُمَ عَلَى مَحْصُولِه كَائِنًا مَا كَانَ ذَلِكَ البَيَانُ، وَمِنْ أيِّ جِنْسٍ كَانَ الدَّلِيلُ؛ لأنَّ مَدَارَ الأمْرِ والغَايَةُ التي إلَيْهَا يَجْرِي القَائِلُ والسَّامِعُ، إنَّمَا هُوَ الفَهْمُ وَالإفْهَامُ، فَبِأيِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الإفْهَامَ وَأوْضَحْتَ عَنِ المعْنَى، فَذَلِكَ هُوَ البَيَانُ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ"، الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان، التبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت، 1: 76

(14)يقول الكفوي: "الدلالة قائمة في صنفين: دلالة لفظيّة، وغير لفظيّة، وكلٌّ منهما إمّا أن تكون وضعيّةً أو عقليّةً أو طبيعيّةً، فالدلالة اللّفْظيّة الوضعيّة دلالة الألفاظ الموضوعة على مدلولاتها واللّفْظيّة كدلالة اللّفْظ على اللافظ والطبيعيّة كدلالة (أخ) على الوجع، أمّا الدلالة غير اللّفْظيّة الوضعيّة فهي دلالات المطابقة، والتضمن، والالتزام، والنصبة، والعقليّة كدلالة المصنوعات على الصّانع والطبيعيّة كدلالة الحمرة على الخجل والصفرة على الوجل"، الكفوي؛ أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2011م، ص: 367.

(15) انظر: ابن هشام الأنصاري؛ جمال الدين، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1960م، ص: 27-29.

(16) الكفوي؛ أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، ص: 637.

(17) انظر: الكفوي؛ أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، ص: 598.

(18) الجرجاني؛ عبد القاهر بن محمد، أسرار البلاغة، تحقيق: ريتر، مطبعة وزارة المعارف، إستانبول، 1979م، ص: 48-49.

(19) الجرجاني؛ عبد القاهر بن محمد، أسرار البلاغة، ص: 50.

(20) انظر: الجرجاني؛ عبد القاهر بن محمد، أسرار البلاغة، ص: 50.

(21) ابن طفيل؛ أبو بكر محمد بن عبد الله حي بن يقظان، تحليل ودراسة جميل صليبا وكامل عياد، مطبعة جامعة دمشق، 1962م، ص: 135. فالمتكلِّمُ بذلك يمتلك وسائل للتعبير عن مقاصده وأغراضه وإذا كانت اللُّغَةُ مهتمةً بالتركيب اللَّفْظِيّ للأصوات بائتلافها الدَّال على الدَّلالات اللغوية التي يصطلح النَّاسُ عَلَيْهَا فَإنَّ الإنسانَ يمتلكُ وسائلَ أُخَرَ غير لفظيَّة أو غير لغويَّة تؤدي وظيفةَ التواصل بصورة عامة ولعلَّها أسبق من وسائل التعبير اللَّفْظيّة أو اللغوية التركيبية، انظر: الجبر؛ خالد عبد الرؤوف، لغة الجسد في التراث العربي، ص: 18. وتنقسم هذه الوسائل غير اللَّفْظيّة إلى أنظمة دلاليَّة عضويَّة تتخذ من "جسم الإنسان علامات؛لأنَّ الإنسانَ يستخدم أعضاءَ جسمه، بل جسمه كلَّه- في التواصل مع الآخرين: إنَّه يتكلَّم بلسانه، وتحمل حركاته وإشاراته دلالات يمكن أن تكون مفهومة مثل كلمات اللُّغَة"، داود؛ محمد محمد، جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية دراسة دلاليّة، دار غريب، ط1، 2007م، ص: 7، وانظر : حسام الدين كريم زكي، الإشارات الجسديّة دراسة لغويّة لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1991م، ص: 26.

(22) انظر: الجاحظ؛ أبا عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت، 1: 81.

(23) انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 1: 79.

(24) إذ إنَّهُمَا شَرِيكَانِ، وَنِعْمَ العَوْنُ هِيَ لَهُ، وَنِعْمَ التُّرْجُمَانُ هِيَ عَنْهُ، وَتَارَةً تَكُونُ رُتْبَةُ الإشَارَةِ سَبَّاقَةً لِرُتْبَةِ اللَّفْظِ؛إذْ بِهَا يَتَخَلَّقُ المعْنَى، وَتَتَعَيَّنُ المقَاصِدُ، فَمَبْلَغُ الإشَارَةِ أبْعَدُ مِنْ مَبْلَغِ الصَّوْتِ، وَهَذَا بَابٌ تَتَقَدَّمُ فِيهِ الإشَارَةُ الصَّوْتَ، نظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 1: 78-79.

(25) حيث يرى أنَّ الإشارة باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالسيف والثوب كذلك، أمّا إذا تقارب الشخصان ففي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمورٍ يُمَيِّزُهَا بَعْضُ النَّاسِ مِنْ بَعْضٍ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارةُ لَمْ يَتَفَاهَمْ النَّاسُ مَعْنًى خَاصًّ الخَاصِّ، انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 1: 77-78.

(26) الجاحظ، رسائل الجاحظ، من رسالة الجد والهزل، 1: 262-263.

(27) الجاحظ، البيان والتبيين، 1: 78.

(28) الجاحظ، البيان والتبيين، 3: 455.

(29) انظر: إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند االجاحظ، دار الثقافة، للنشر والتوزيع، 1984م، ص: 127.

(30) الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل،ط1، 1416هـ -1996م، 4: 394.

(31) الجاحظ، البيان والتبيين، 3: 12.

(32) انظر: ابن جني؛ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1952م، 2: 362.

(33) ابن جني، الخصائص، 2: 370.

(34) ابن جني، الخصائص، 2: 371.

(35) ابن جني، الخصائص، 2: 371.

(36) انظر: ابن جني، الخصائص، 2: 371.

(37) انظر: ابن جني، الخصائص، 2: 371.

(38) ابن وهب؛ أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، مصر، 1969م، ص: 113.

(39) انظر: عرار؛ مهدي أسعد، لغة الجسد ودورها في الإبانة، ص: 107.

(40) انظر: عرار؛ مهدي أسعد، لغة الجسد ودورها في الإبانة، ص: 107-108.

(41) انظر: المحجوب؛ فاطمة، دراسات في علم اللُّغَة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م، ص: 109، وأبا عاصي، حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 82.

(42) انظر: الراجحي؛ عبده، فصول في علم اللُّغَة ، ص:99-105، وأبا عاصي، حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 82.

(43) انظر: أبا عاصي؛ حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص: 82 -83.

(44) ابن جني، الخصائص، 1: 33.

(45) الجاحظ، البيان و التبيين، 1: 79.

(46) الجاحظ، الحيوان، 1: 47.

(47) انظر: الجاحظ، البيان و التبيين، 1: 19، 21، 47، 52، 71، 147، والحيوان، 1: 117، 288، 4: 21، 275، 7: 57.

(48) انظر: الجاحظ، الحيوان، 1: 42، 48، 50، والبيان والتبيين، 1: 56، 57، 74، 134، 186.

(49) انظر: الجاحظ، البيان و التبيين، 1: 13، 36، 53، 63، 139، 157، 180، والحيوان، 4: 404، 6: 50، 7: 35، 49، 50، 57، 58.

(50) الجاحظ، الحيوان، 7: 57.

(51) انظر: الجاحظ، الحيوان، 1: 90.

(52) الجاحظ، الحيوان، 1: 48.

(53) الجاحظ، الحيوان، 7: 5-6.

(54) الجاحظ، البيان والتبيين، 1: 138-139.

(55) انظر: الجرجاني؛ عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تحقيق: محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مكتبة المدني، مصر، القاهرة، 1984م، ص:52.

(56) انظر: الجرجاني؛ عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، ص:49.

(57) أي: الكفاءة اللغوية بتعريفها الأقوى عند تشومسكي (النحو العام).

(58) حسب السياق ومقتضياته وهنا يلتقي نوعان من الكفاءة، الأول: الكفاءة اللغوية بتعريفها الأضعف عند تشومسكي (النحو الخاص) الذي يشمل ثلاثة أنواع من القدرات اللغوية: القدرة التركيبية والقدرة الدلالية والصوتيمية، والثاني: الكفاءة الاتصالية أو التواصلية عند أصحاب اللسانيات الاجتماعية والتداوليين اليوم وتضافر الكفاءات الثلاث: الكفاءة اللغوية بتعريفها الأقوى عند تشومسكي (النحو العام)، والكفاءة اللغوية بتعريفها الأضعف عند تشومسكي (النحو الخاص)، والكفاءة التواصلية عند الاجتماعيين والتداوليين دليل على بلاغة العرب وفصاحتها وقوة بيانها، انظر:أحمد عارف حجازي، علاء محمد شلقامي، عبد المنعم السيد أحمد، مختصر في المناهج اللغوية الحديثة، ص: 35-65.

(59) لعدم أهميته أو تأثيره في إيصال الرسالة.

(60) الرماني؛ علي بن عيسى (384ه)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: محمد إبراهيم يوسف شيبة، إشراف: د. أحمد مكي الأنصاري، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1415ه ، 2: 545-546.

(61)الرماني، شرح كتاب سيبويه، 2: 546.

(62) ابن عصفور؛ شرح الإيضاح للفارسي، قطعة مخطوطة من الكتاب موجودة بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، برقم: (11703ف) ضمن مجموع غير معنون، لوحة: ، ويرى ابن عصفور أنَّ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ الـمُرَكَّبِ تَقْدِيْراً، انظر:ابن عصفور، علي بن مؤمن (669ه)، المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مكتبة الفَيصلَية، مكة المكرمة، ط1، 1971م، 1: 45.

(63) ابن جني، الخصائص، 1: 109- 110.

(64) ابن جني، الخصائص، 1: 17.

(65) ابن جني، الخصائص، 1: 23.

(66) ابن عصفور؛ علي بن مؤمن (669ه)، شرح الإيضاح للفارسي، قطعة مخطوطة ، لوحة: 46، وانظر: ابن عصفور، علي بن مؤمن (669ه)، المقرب، 1: 45.

(67) انظر: أبو المكارم؛ علي، الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م، ص: 357.

(68) انظر: ابن عبد ربه؛ أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الرحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1404ه، 1982م، 4: 189، والمسدي، عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م، ص: 46، وصمود، حمادي، التفكير البلاغي، منشورات الجامعة التونسية، ط1، 1981م، ص: 165.

(69) ابن عبد ربه؛ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروتت، لبنان، ط1، 1383م، 4: 271، وانظر: يحياوي، رشيد، المرجعية التواصلية لمفهوم الكلام، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي ، جدة، المملكة العربية السعودية، العدد 32، شوال 1433ه، سبتمبر 2012م، ص:10.

(70) ابن سينا، المنطق من كتاب الشفاء، الجزء الثالث، العبارة، تحقيق: محمود الخضري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1970م، ص:2.

(71) يحياوي؛ رشيد، المرجعية التواصلية لمفهوم الكلام، ص:12.

(72) انظر: حسان؛ تمام، اللُّغَة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ص: 181-182.

(73) انظر: كمال بشر، دراسات في علم اللُّغَة، دار المعارف، القاهرة، ط (2)، 1971م، القسم الثاني، ص: 55-57.

(74) انظر: حجازي؛ محمود فهمي، مدخل إلى علم اللُّغَة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط. (2)، 1987م، ص: 66-70.

(75) انظر: عيد؛ محمد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللُّغَة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، 1978م، ص: 66-67.

(76) حسان؛ تمام، اللُّغَة العربية معناها ومبناها، ص: 178.

(77) انظر: حسان؛ تمام، اللُّغَة العربية معناها ومبناها، ص: 182-183.

(78) انظر: الراجحي؛ عبده، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 143-158.

(79) الراجحي؛ عبده، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 114.

(80) انظر: الراجحي؛ عبده، فقه اللُّغَة في الكتب العربية، ص: 158-159.

(81) عبده؛ داود، أبحاث في فقه اللُّغَة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1973م، ص: 23.

(82) عبده؛ داود، أبحاث في فقه اللُّغَة العربية، ص: 23.

(83) عبده؛ داود، أبحاث في فقه اللُّغَة العربية، ص: 23.

(84) انظر: داود عبده، أبحاث في فقه اللُّغَة العربية، ص: 26.

(85) سيبويه، الكتاب، 2: 130.

(86) انظر: الموسى؛ نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، سنة 1400-1980م، ص: 90، وعلم الدين؛ فتحي ثابت، أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته، دراسة نصية من القرآن، رسالة دكتوراة من كلية الدراسات العربية والإسلامية، جامعة المنيا، 1994م، ص: 18، وأبا المعاطي؛ كمال سعد، دلالة الحال ودورها في الدراسات النحوية، رسالة ماجستير بدار العلوم، جامعة القاهرة، 1990م، ص:9.

(87) سيبويه، الكتاب، 3: 269.

(88) سيبويه، الكتاب، 1: 220.

(89) ابن جني، الخصائص، 2: 370.

(90) ابن جني، الخصائص، 2: 371.

(91) سيبويه، الكتاب، 1: 270.

(92) سيبويه، الكتاب، 1: 296-297.

(93) سيبويه، الكتاب، 1: 270- 273.

(94) ابن يعيش؛ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (643ه)، شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت، 1: 254.

(95) يقصد باب ما جرى منه على الأمر والتحذير، انظر: سيبويه، الكتاب، 1: 273.

(96) يقصد باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي، انظر: سيبويه، الكتاب، 1: 290.

(97) سيبويه، الكتاب، 1: 296-297.

(98) سيبويه، الكتاب، 1: 327.

(99) الرماني؛ علي بن عيسى (384ه) شرح كتاب سيبويه، 2: 545-546.

(100) الرماني، شرح كتاب سيبويه، 2: 546.

(101) سيبويه، االكتاب، 1: 257 – 258.

(102) انظر: الخفاجي؛ بان، مراعاة المخاطب في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م، ص: 91.

(103) انظر: الأسدي؛ حسن عبد الغني، مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص: 206.

(104) انظر: الأسدي، مفهوم الجملة عند سيبويه، ص: 206-207.

(105) سيبويه، الكتاب، 1: 253 – 254.

(106) انظر: ابن الناظم؛ أبو عبد الله بدر الدين، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ص: 432، والرضي؛ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباي (686ه)، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، ط2، 1998م، 2: 5-8.

(107) انظر: ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، ص: 432، والرضي، شرح الكافية، 2: 5-8.

(108) سيبويه، الكتاب، 1: 273.

(109) انظر: سيبويه، الكتاب، 1: 273، والمبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط2، 1399ه - 1979م، 3: 215، والأنباري، أسرار العربية، ص: 102، وابن يعيش، شرح المفصل، 2: 312- 313.

(110) انظر: الرضي، شرح الكافية، 2: 7.
(111) سيبويه، الكتاب، 1: 275.
(112) سيبويه، الكتاب، 1: 275.
(113) انظر هذا النص في: السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن (911ه)، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة،ط1، 1: 307.
(114) الرضي، شرح الكافية، 2: 8.
(115) سيبويه، الكتاب، 1: 338.
(116) سيبويه، الكتاب، 1: 339.
(117) سيبويه، الكتاب، 1: 355-356.
(118) انظر: الخفاجي؛ بان، مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص: 95.
(119) سيبويه، الكتاب، 1: 361-362.
(120) سيبويه، الكتاب، 1: 340-341.
(121) انظر: حسين؛ زعطوط، توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللُّغَة والأدب العربي، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د عبد المجيد عيساني، 2012م-2013م، ص: 206.
(122) سيبويه، الكتاب، 1: 343-345.
(123) انظر: حسين؛ زعطوط، توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، ص: 206.
(124) سيبويه، الكتاب، 1: 244.
(125) سيبويه، الكتاب، 1: 244.
(126) انظر: الموسى؛ نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، سنة 1400-1980م، ص: 95.
(127)سيبويه، الكتاب، 1: 244.
(128) انظر: سيبويه، الكتاب، 1: 245.
(129) سيبويه، الكتاب، 2: 232.
(130) سيبويه، الكتاب، 2: 208.
(131) سيبويه، الكتاب، 2: 230.
(132) الأعلم الشنتمري؛ يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي (476ه)، النكت في تفسير كتاب سيبويه، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط1، 1407- 1987م، 1: 556.
(133) سيبويه، الكتاب، 1: 254 – 255.
(134) انظر: حسين؛ زعطوط، توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، ص: 210.
(135) سيبويه، الكتاب، 1: 141.
(136) انظر: الموسى؛ نهاد، نظرية النحو العربي، ص: 92.